صلى الله عليه وسلم

سيظل رسول الله

مهما أساؤوا

السيد إبراهيم أحمد





نشر إلكترونيا في ذو القعدة، ١٤٣٢/أكتوبر، ٢٠١١.

الإخراج الفني: فوزية الألمعي
تصميم الغلاف: إدريس يحي
التدقيق اللغوي: لجين قطب

محتـــويات الكتـــاب

إهداء

- ❖ إلى الذين عرفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقروه وأحبوه.
- ❖ إلى الذين جهلوه صلى الله عليه وسلم، فهاجموه وسبوه.
- ❖ وإلى من أدّعوا محبته، وخالفوا سنته، وانتصروا لأعدائه ولم ينصروه.
- ❖ إليهم جميعا وإليكم، أهدي هذه الصفحات، ليجد فيها من عَلِمَ الاستزادة، ومن لم يعلمْ الاستفادة.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده و نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد :

دأب الغرب على أن لا يتركنا وشأننا وديننا الحنيف، ونبينا الكامل المعصوم صلى الله عليه وسلم، فلا نكاد نخرج من غمار إساءة حتى يدخلوننا في غيرها، رغم ما ظهر لهم من ردود الأفعال العنيفة من عامة المسلمين، ومخاطبة العلماء لهم بالحسنى، وإظهار جهلهم بشخصية من يسبونه صلى الله عليه وسلم.

ولم يكلوا في مسعاهم الدائب والخبيث ـ خيب الله مسعاهم ـ فنوعوا فيه تارة بالرسم، بعد أن أجهدوا أقلامهم بالكتابة، وأخيرًا وليس آخرًا بفيلم مسيء لهم قبل إساءته لنبينا الكريم صلى الله عليه وسلم، تواطأت فيه حثالات من اليهود وبعض أقباط المهجر، تدنوا فيه غاية الدناءة، فبشعوا، وضللوا، وشوهوا، فجاءت بعض الردود عنيفة إلى حد القتل، ومازالت موجات الغضب تتوالى، ولا يعلم مداها إلا الله، لعلها تكون رادعًا لهم أن يكفوا.

وهذه الصفحات التاليات تستعرض تاريخ الإساءات الغربية لنبينا خاصة وبعض الأنبياء عليهم وعلى نبينا الصلاة والتسليم ومنهم السيد المسيح الذى يؤمنون به معبودًا لهم ولم يسلم من سفاهاتهم وسفالاتهم، لنثبت في النهاية أن حرية التعبير التي طالما تغنوا بأنها لا تعرف التمييز، ولا التفريق فالكل سواء في عدم قداسته أمامها، إن هِيّ إلا سفسطة وخدعة كبيرة، إذ أنها موجهة فقط لمن يريدون الإساءة له، كما أثبتنا إنها حرية جبانة لا تستطيع مجاوزة الحد أمام من يقدسونه بسم الدين تارة، وبسم القانون تارة أخرى،

وأن المستهدف أمامهم بشكل واسع هو الإسلام دين التوحيد الحق ونبيه الكريم صلى الله عليه وسلم.

لكن الله عز وجل قد كفي نبيه صلى الله عليه وسلم أولئك المستهزئين في كل عصر ومكان، وهم وبضاعتهم الرخيصة الدالة عليهم ذاهبون ، وسيظل رسولنا "رسول الله" صلى الله عليه وسلم ، مهما تمادوا و أساؤوا.

ولنبدأ معًا المسير، فكلنا مطالبون باليقظة والوقوف صفًا واحدًا ضد هذه الهجمات الخائبة و التي ستنقلب عليهم وبالاً بإذن الله.

وأرجو أن يتقبل الله هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، فيجعله في ميزان حسناتي وحسنات من قرأه فعمل على نشره بلسانه أو بقلمه أو بترجمته أو بطبعه، وكذلك أقدمه بين يدِي شفيعنا وقائدنا ورسولنا وسيدنا وسيد الأولين والآخرين بأمر رب العالمين محمدٍ صلى الله عليه وسلم لعلي أَشْرُفْ بلقائه في الفردوس الأعلى نحن ووالدينا وأزواجنا و ذرياتنا والمسلمين أجمعين.

الباب الأول: إصرار المسيء



- رسالة إلى من أساء.
- أعادوا الإساءة، فعاود الإسلام التقدم.
- خواطر مسلم في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

رسالة إلى من أساء

لما أعلنت صحيفة يلاندز بوستين الدنمركية عزمها القيام بمسابقة لرسامي الكارتون الدانمركيين في رسم صور لرسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، كلٌ حسب ما يحلو ويعن له، كان ذلك على إثر مقالة نشرتها صحيفة Politiken الدانمركية تحت عنوان: "الرهبة الشديدة من انتقاد الإسلام" المنشور في ١٧ سبتمبر عام ٢٠٠٥، والذي خصص للحديث عن الصعوبة التي لاقاها الصحفي الدنماركي "كاري بلوتكن" في إقناع الرسامين برسم صور للرسول صلى الله عليه وسلم بُغية تضمينها كتابه المزمع نشره والمعنون باسم: "القرآن وحياة الرسول" وهو كتاب موجه للأطفال. وفي ٣٠ سبتمبر عام ٢٠٠٥ قامت الصحيفة المشار إليها بالتجرؤ بنشر ١٢ صورة كاريكاتيرية مهينة للرسول صلى الله عليه وسلم ضمن مقالة عنوانها : "وجه محمد"، والذى دبجه وكتبه كاري بلوتكن. وقد أعيد نشر هذه الصورتباعًا في الصحيفة النرويجية المسيحية "Magazinet" والصحيفة الألمانية "Die Welt " والفرنسية "France Soir" وصحف أخرى في أوربا وأميركا لتبرئ كل صحيفة صحيفتها من تهمة الخوف من انتقاد الإسلام.

وقامت الدنيا ولم تقعد لا شرقًا ولا غربًا، وكان رد الفعل صادم على جميع المستويات، فقد تصور الغرب أنه يستطيع أن ينتقد شخصية كالنبي محمد صلى الله عليه وسلم ولا يلقي الشارع المسلم إليها بالاً، خاصةً وأن معظم الشعوب الإسلامية تغوص حتى منبت رأسها في زخمٍ هائل من المشاكل سواء الإجتماعية والسياسية والعسكرية ما هو كافٍ إلى جانب الفقر الجاثم على صدرها بأن يُلهيها تمامًا عن الالتفات إلى هذا الشأن وأنه سيمر مرورًا عابرًا، وإن خرجت بعض الاحتجاجات فربما ستكون على مستوى بعض الدوائر السياسية والدبلوماسية العربية والإسلامية هنا وهناك لبعض الدول وذلك حفاظا على ماء وجهها أمام شعوبها، ومثل هذه الاحتجاجات يسهل التعامل معها ووأدها في حينها،

لتكون مثل هذه الرسومات بمثابة بالون الاختبار لما سيحدث بعدها وما تتفتق عنه أذهان الحاقدين من تطوير الأداء الإنتقادي المنظم لشخص الرسول صلى الله عليه وسلم.

ولما نادت بعض الأصوات بأن مرد هذه الإساءة هو جهل الغرب بشخص ومقام رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم ـ رغم اعتراضنا ـ إلا أننا تعاوننا مع أصحاب ذلك التوجه ومن ثم كتبت رسالة خاطبت فيها ذلك الرسام عسى الله أن يرده عن غيه وقد تُرْجِمت في حينها وأرسلت إليه، ولا أعلم إن كان قد قرأها من عدمه والأغلب أنه لم يقرأها كما سنرى، وهذا نص الرسالة :

رسالة إلى من آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصب عليه حقد قلبه:

لقد أعادت إساءتك لرسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم ذكرى مؤلمة لي حينما كنت طالبًا بالأقباط الإعدادية في فصل المتفوقين الذي يضم الطلاب على اختلاف ديانتهم، و كانت بيننا صداقة و تزاور وتعاون إلا أنه في امتحان الدين وقبيل تسليم ورقة الإجابة بادرني زميلي جرجس: هل أنهيت امتحان محمد الذي ليس عليه الصلاة والسلام؟ فعاجلته بقولي: وهل أنهيت امتحان المسيح الميت؟. نعم، لقد عوقبنا في مجلس تأديب عند مدير المدرسة و لكن حينما فكرنا في الأمر وجدنا أن جرجس كان مشحونًا من خارجه، وأنا بحثت له عما يؤلمه في عقيدته مثلما آلمني في عقيدتي دون داع، وتجاوزنا الحدث العارض

لأن أساس العلاقة بيننا ليست نفي الآخر أو تصفيته.

لقد تربينا في الشرق على المحبة، فلا تكاد تجد في تاريخ أيّاً منا ــ أنا أو والديَا وإخوتي حتى أبنائي ــ إلا وله أصدقاء ليس من ديننا فقط بل أصدقاء من غير ديننا أيضًا، ومنهم "صموئيل" صديقي الذي كان يشاركني صـوم رمضان، وآخر كنت مدعوًا على الغداء عندهم وحان وقت الصلاة و صليت في غرفة والده على قطعة قماش نظيفة قدمها لي كسجادة للصلاة. وكم كنت قارئًا نهماَ للديانة المسيحية وغيرها من الديانات السماوية وغير السماوية، ولا تزال مكتبتي يقبع داخل ركن منها ظاهر، مجموعة من الكتب الدينية قد يعزـ ربما ـ على المسيحي أن تكون في متناول يده.

في أحد أيام شهر رمضان الفضيل و بعد انتهائنا من قيام الليل وجدتُ حارسًا شابًا لإحـدى المحلات التي يمتلكها أحد المسلمين، يقرأ في كتيب صغير ظننته يختم القرآن، فإذا هو مسيحي يقرأ في الإنجيل فتناولته منه وكان يضم الأناجيل الأربعة فقط، فقلت له:(إن كتاب الحياة الذي لديّ يضم إلى جانب ذلك أعمال الرسل)، وتصافحنا وشجعته. كم كان جوًا روحانيًا جميلًا أن يقرأ المسلم في مصحفه، والمسيحي في إنجيله تضم هذا وذاك عباءة رمضان الحنون الرحيم، التي منحت لياليه لكليهما السكينة والرحمة وللعالمين مثلما كان نبي الإسلام رحمةً للعالمين.

تربيتُ منذ الصغر على حب الآداب والفنون والقراءة عن الأديان في الشرق وكما يتناولونها في الغرب، وطالعتُ أديان الهند الكبرى وفلسفات اليونان وأفكارهم، وقرأت شكسبير وسومرست موم ومسرح راسين، ويونسكو، وشعربودلير، وجيته ودانتي الليجيري، وفولتير، وبول فاليري، وسارتر، وتولستوي، ودستويفسكي، وإميل زولا ويوجين أونيل، ووليام، وأوزبون، ودورنيمات، وطاغور، فلا أجد غضاضة في أن أتجول في كل حدائق المعارف؛ لأن هذا ما يحضني ديني عليه.

وبقدر إعجابي بفولتير بقدر تألمي منه حين كتب مسرحية عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مليئة بالمغالطات ليسترضي البابا الغاضب عليه، ومن دانتي الليجيري الذي صدمني في الكوميديا الإلهية حين وضع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، والإمام علي بن أبي طالب رضيّ الله عنه في الخندق التاسع من الجحيم وعذبهما بطريقة إجرامية، وللأسف كنا نقرأها مترجمة دون هذا المقطع حتى لا تثير مشاعرنا كما أرادت دور النشر.

ولم نعدم أن نجد على الطرف الآخر ثلة رائعة مثل: برنارد شو وجوته، وأليكس كارليل، وجارودي، وبوكاي، وهونكه، وبيرل باك وغيرهم كثير من علماء وعقلاء المسيحية الذين اعتنقوا الإسلام والذين لم يعتنقوه وهم يكتبون بحب وبوعي، وفي مصر، مثل الأستاذ خليل اسكندر قبرصي في كتابه: "دعوة نصارى العرب إلى الدخول في

الإسلام" وهو مسيحي عربي، والمنصف المحايد الدكتور نظمي لوقا وكتبه، ومنها : "محمد الرسالة والرسول"، و"محمد في حياته الخاصة" وغيرهما وهو مفكر قبطي، وكذلك المفكرالقبطي المعاصردكتورنبيل لوقا بباوي في كتابه: "محمد والخناجرالمسمومة الموجهة إليه" وغيرها من الكتب التي كتبها عن الإسلام ورسول الإسلام صلى الله عليه وسلم، غير أن كتاب بباوي عن الخناجر المسمومة لم يضم بين دفتيه آخر تلك الخناجر وهو خنجرك أيها الدنماركي المتجاهل، ومع هذا كنا نتقبل تلك الطعنات من مستشرقين ومستغربين فنردها إما إلى حرية التعبير التي تحظى به أوربا وأمريكا وأحيانا إلى السطحية العلمية، والجهل المصحوب بالحقد، وبالإشادة كذلك لكل من أضاف إلى فهمنا مفاهيم جديدة غابت علينا من ديننا وتاريخنا وأولئك هم المنصفون.

غير أن الذي رأيناه في الآونة الأخيرة من تدنيس للقرآن عن عمد وتمزيقه وحرقه، وتعذيب المسلمين وقتلهم وهتك أعراضهم رجالا ونساء واستباحة أراضيهم، وتسفيه دينهم، وتأليف قرآن جديد لهم، والضغط على الحكومات المسلمة باسم المعونات لتقليل حصص مادة الدين الإسلامي خاصةً، وتغيير منهج تلك المادة لتحذف منه آيات وقصص الجهاد، ومنح العفو لليهود فلا نسميهم إخوة القردة والخنازير على سبيل الكناية، وحتى الدعاء لله عليهم لِما أقترفوه ومازالوا يقترفونه من آثام في حق أهلينا بفلسطين

وغيرها، حرمونا منه ولو في صلاتنا، وما نراه كذلك من سياسة الكيل بمعيارين، وأيضاً استقواء بعض من يشاركوننا الوطن أقباط الداخل برئيس أمريكا وأعوانه علينا. لم نجد في هذا حرية تعبير، ولن أحدثك عن الهولوكست تلك الدائرة الحمراء التي لا تقوى أنت ولا غيرك على الاقتراب منها.

أيها الرسام النابه دعني أسألك: كيف غابت حرية التعبير تلك التي تتشدقون بها وتشهرونها في وجوهنا في عدم منح جائزة أوسكار لفيلم فلسطيني "الجنة الآن" والتي لم تعرضه ولا دار عرض أمريكية؟، لماذا صفقتم لسلمان رشدي الذي كتب رواية تقدح في سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم، وحاربتم رجاء جارودي لأنه انتقد الهولوكست، مع أن منطلقهما واحد وهو الفكر كما تزعمون، ويستظلان بمظلة حرية التعبير؟، لماذا طردتم الصحفية التي هاجمت رامسيفلد ـ وزير الدفاع الأمريكي آنذاك ـ من القاعة التى كان يخطب فيها حينما أعلن الحرب على الإرهاب لمدة أربعين عامًا قادمة، وبحسب قوله :(على من يدينون بعقيدة الانتحار) ـ ويعنينا نحن المسلمون ـ؟

لماذا ولماذا وألف لماذا تؤكد كلها إنما هي حرب على الإسلام، وحرية تعبير فقط على ما ندين به نحن، ولو تأملت لوجدت أن نظام القاعدة وطالبان وغيرهما إنما هما رد فعل للظالمين الأمريكي والغربي، فحرية التعبير تلك الواهية المزعومة والتي

حرمتني من نشر قصائد نقدية في السيد "بوش" بصحف بلادي خوفًا من الغضب الأمريكي. أرأيت إلى أي مدى الوجه الآخر لعدم حرية التعبير الذي ألقى بظلاله الثقيلة للحَجْرِ على حرية الآخرين في بلادهم، وللأسف نُشرت هذه القصائد في جريدة عربية بدولة فلسطين المحتلة التي تنعم بالديمقراطية والمنح الأمريكية.

لم تكن بلادكم وخاصة الدنمارك بالدولة الكريهة لنا، بل من أكثر الدول التى نعجب بنموذجها الإقتصادي، ومستوى رفاهية الفرد فيها، و كنا نُعجَب كذلك بفريقكم في الدوري الأوربي و كأس العالم ونشجعه، خاصة ومن لعب أقدام جنودكم برأس القائد الإنجليزي المقطوع وهم يتقاذفونها حينما أحتلّتكم إنجلترا، أخذ العالم عنكم لعبة كرة القدم، وتحول إعجابنا إلى احترام لما لمسناه من مواقفكم الشجاعة تجاه قضايانا العربية، وخاصة القضية الفلسطينية، ومصاحبتكم للسيد "ياسر عرفات" في رحلة علاجه الأخيرة قبيل وفاته، ومقاطعتكم للبضائع الإسرائيلية تضامنًا معنا، ولتلك الـ ٧٥٪ من المعونة التى ترسلونها لبلدي"مصر" عن طريق هيئة المعونة الدانماركية "الدانيرا" والتي تصل إلى ٢٠٠ مليون دولار سنويًا. كل هذا و غيره نقدره لكم، لكن اللعب على وتر العقيدة بالتحقير والازدراء دون داعٍ هو ما أسكب الزيت المغلي فوق جروحنا منكم، فقد أعاد لذاكرتنا محاكم التفتيش الأسبانية البغيضة، وكل قصص الاحتلال لبلادنا، والمدافن

الجماعية لشهدائنا، والحروب الصليبية من فلسطين حتى حرب البوسنة والهرسك مرورًا بالعراق وأفغانستان، وما يجري على أرضكم من التعرض للمحجبات، وازدراء و تدنيس مقابر المسلمين، وغيره مما لا يجدر ذكره.

لعله روعك أن نرد منتجاتكم ونقاطعها، ونحرق سفاراتكم ونرد سفرائكم، ونضرب بعرض الحائط معوناتكم، ولا نأبه لمواقفكم تجاه قضايانا الوطنية. لا يا رجل الغرب اليميني المتطرف: عليك أن تدرك على من صوَّبت رصاصاتك الطائشة، فلقد صور لك جهلك وأعماك حقدك أن فعلك لن يقابله رد فعل بمثل هذا الحجم، لأن من صورته في هذه الصور المهينة بحسب خيالك المريض، يعيش في قلب ألف مليون وخمسمائة مليون مسلم، تدق نبضاتهم في كل صلاة بالصلاة والسلام عليه، ومنتهى أمانيهم أن يقابلوه في الجنة، وأقصى أمانيهم في الحياة أن يروه ولو منامًا، و الذين يقرأون سيرته ويحفظون أقواله ويخافون من الكذب عليه، ويخشون من أفعالهم السيئة في الدنيا حين يلقاهم في الآخرة، ويعلمون كم تعذب و أوذي في حياته لينشر دين الله تعالى في العالمين، والذي لم يكن سبابًا ولا فظًا ولا عيابًا ولا فحاشًا ولا صخابًا بالأسواق، وكان متوحدًا في أخلاقه قبل البعثة وبعد البعثة.

هذا الرسول الذي لو قرأته بعين الإنصاف ـ من مصادر صحيحة ـ لأحببته



إن لم تؤمن به ولأنصفته من نفسك وبَشَّرت به بين قومك، ولصوبت خطأك الجسيم في حقه وحق تابعيه، فتنشر في صحيفتك الصـدق عن رجل صادق مقالاً عنوانه: "كيف عرفتُ رسول المسلمين" بنفس المساحة في نفس الصفحة، تُعِدْ لنا ـ إن أنت فعلت ذلك ـ الصدق بكل ما هو جميل ومثالي في حضارة الغرب، وأن تنصح من يريدون أن يعلنوا الحرب على الإرهاب أن يكفوا هم أولاَ عن إرهاب الشعوب، وأن يشيعوا روح العدالة والتسامح بين الناس، ويعجبني قـول من قال:(إن لم يُعلِم أهل الأديان الحب للناس فمن يعلمهم، وإن لم يجمعنا دين الله فما الذي يجمعنا؟)، وليس علينا نحن المسلمين إلا حسن الظن كما علمنا ديننا، وهاأنذا سأصبر وسأنتظر، وأحسن الظن بـك، لعل وعـسى.

الفصل الثاني: أعادوا الإساءة، فعاود الإسلام التقدم

لم يكن الرسام أو كاتب المقال وحده الذي لم يقرأ نص الرسالة التي وجهناها إليهما، ولم يقرأها كذلك من عاود وجدد الإساءة، نعم، فقد تجددت الإساءة العدوانية على ذات رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، وعاودت بعض الصحف نشر الرسوم المسيئة لهم، كما أن الكاتب الدنماركي "كوري بلوتيكن" أقدم على نشر كتاب جديد بلغت صفحاته الثلاثمائة صفحة، مزودة برسومات تصور الرسول صلى الله عليه وسلم بطريقة مسيئة، مما اعتبره المراقبون إساءة جديدة للدين الإسلامي والنبي محمد صلى الله عليه وسلم.

ومع هذا لم يكتب له النجاح حتى لدى المجتمع الدنيماركي ذاته أو حتى النقاد ومنهم الناقد "ستيفن لارسن"، والأديب "توماس هوفمان" اللذان اتهما الكاتب بأنه يجهل الدين الإسلامي تمامًا، كما قال المتخصص بالتراث الإسلامي "جون مولرلارسن": (إن الكاتب ابتدع الموضوعات الخاطئة ونشر الصور الكاذبة).

ولا شك أن كل هذا مما يقدم دليلاً أكيدًا على أن هناك خطة مُبيتة بليلٍ ونهار لاستمرار إطلاق قذائف العدوان الهمجي على معتقدات المسلمين وآخرها ـ وهذا ما نتمنى ـ ذلك الفيلم الهمجي الغوغائي المسمى تهكمًا "براءة المسلمين"، للمخرج الإسرائيلي/الأمريكي "سام بازيل" المنحدر من جنوب كاليفورنيا، والممول من قبل مئة شخصية يهودية، و الذي روج له بعض من أقباط المهجر ـ للأسف ـ، والقس الأمريكي المتطرف الباحث عن الشهرة والذي أقدم على حرق القرآن الكريم "تيري جونز". أما هذا المخرج فيرى أنه قدم فيلمًا سياسًيا وليس دينيًا، ولم يهاجم المسلمين، إنما هدفه هو كشف زيف الدين الإسلامي لأنه دين يحض على الكراهية وأنه سرطان.

ولعلك تتساءل ما سر انطلاق قذيفة الرسوم المسيئة من الدنمارك، وهي تتخفي بمبدأ كاذب متلون وهو "حرية التعبير"، من دولة تجمع بين نقيضين "التدين" في نصوص الدستور الملكي، و"الليبرالية المتطرفة" في أيديولوجية الحزب الحاكم ووسائل الإعلام، فأما التدين فمنصوص عليه في دستورهم، فقد جاء في المادة١/بند ٣: "إن الكنيسة الإنجيلية اللوثرية هي الكنيسة المعترف بها في الدانمارك"، وعلى هذا فقد جاءت المادة ١/بند ٥ تأسيسا على المادة السابقة والتي تنص بوجوب: "أن يكون الملك من أتباع الكنيسة الإنجيلية اللوثرية"، بينما أعلنت الحكومة الدنماركية في دفاعها عن نفسها حال وقوع الإساءة الأولى وحتى تاريخه بأنها حكومة ليبرالية، وأنها إنَّما تطبِّق مقتضيات الليبرالية في عدم اعتراضها على سوء الأدب في النيل من المقدسات، حتى ولو تعلق الأمر بالإساءة لأي نبي.

أكد هذا صدورالحكم الفج من المحكمة الدنمركية بتبرئة الصحيفة التي تولت نشر هذه الرسومات المسيئة لنبينا الكريم صلى الله عليه وسلم، مما هيأ لكل حاقد أفاك أن يبادر هو الآخر بمعاودة الإساءة محتميًا بعباءة الليبرالية والقانون والاتجاه العام السائد في الدولة مدعومًا بالقوى الخفية من مراكز اليهود القاطنة والمهيمنة على الإعلام الدنماركي والأوروبي، والأمريكي بصفة خاصة وهذا ظاهر في النجمة السداسية التي تحملها الجريدة التي نشرت الإساءة الأولى.

السبب الخفي وراء الهجوم الأول، ووراء إعادة الرسم هو المد الإسلامي النامي في الدنمارك، منذ وقوع الإساءة الأولى وتكثيف بعض الجهات الدعوية بتصحيح صورة الإسلام الماثلة في الأذهان الدنماركية والتى تروج لها بعض المؤلفات الكنسية وكذا المنظمات اليهودية هناك، وهذا يبدو واضحًا حين اضطرت بعض الكنائس الغربية إلى عقد اجتماعات سرية

وعاجلة، تم فيها نصح القساوسة ورجال الدين التابعين لها بعدم قراءة القرآن وكتب سيرة نبي المسلمين محمد صلى الله عليه وسلم، بعد أن تأكد لديهم انتشار نسخ من القرآن الكريم بين عدد من قساوستها وتداولهم لبعض تلك الكتب الإسلامية، ويؤكد ما نقول ذلك الذى نشرته صحيفة "البوليتكن الدنماركية" في نوفمبر ٢٠٠٦: "أن عدد الدنماركيين الذين يعتنقون الإسلام يتزايد يوماً بعد يوم، وأن كل يوم يمر يختار مواطن دنيماركي واحد على الأقل اعتناق الدين الإسلامي، حتى أن عدد المعتنقين للإسلام يتراوح ما بين خمسة عشر دنمركيًا في الأسبوع الواحد معظمهم من الشباب الذين يشكلون نحو ثلث العدد الإجمالي لمجموع الدنماركيين الذين أعلنوا إسلامهم وخاصة أن غالبيتهم من الفتيات اللواتى يتزوجن بشباب مسلمين". ولهذا جاءت الديانة الإسلامية ثانية الديانات في الدنمارك من حيث الترتيب، وذلك في ضوء الأرقام الواردة في تقرير الحريات الدينية الأمريكي لعام ٢٠٠٥ م من الجزء الخاص بالدنمارك والذي يثبت أن الديانة الإسلامية في الدنمارك هي الديانة الثانية باعتبار مجموع تعداد السكان، فمن جملة ٥،٤ مليون نسمة يوجد ١٨٠،٠٠٠ مسلم يمثلون نسبة ٣٫٥٪ من مجموع السكان، تليهم الجالية الكاثوليكية التي يبلغ تعداد سكانها٣٥،٠٠٠ نسمة، ثم شهود يهود وتعدادهم ١٥،٠٠٠ نسمة، أما اليهود فعددهم ٧،٠٠٠ نسمة فقط.

أما السواد الأعظم فهم الإنجيليون اللوثريون وتبلغ نسبتهم٨٣،٢٪ من مجموع السكان بيد أن نسبة الطائفة المواظبة منهم الحضور للكنيسة تبلغ ٣٪ فقط، مما ألقى بظلاله على أن تعرض بعض الكنائس الدنماركية للبيع بعد أن أصبحت فارغة لا يدخلها إلا الأشباح حسب تعبير بعض رجال الدين.

ولذلك قررت إدارة الكنائس في الدنمارك عرض عشرة كنائس للبيع قابلة للزيادة خاصة



في العاصمة كوبنهاجن حيث أدار الناس ظهورهم للكنيسة .فيقول الأمين العام للكنائس في الدنمارك "كاي بولمان" تعليقا على نية وزارة الكنائس :(إذا لم تستعمل الكنيسة للعبادة فالأحرى أن تستعمل كإسطبل للخنازير).

ووضع عدد من رجال الدين حظرًا على بيع الكنائس للمسلمين لتحويلها إلى مساجد بحجة أن هناك طوائف مسيحية من خارج الدنمارك ترغب في شرائها أو استئجارها كالطوائف الروسية والصربية وخاصة في العاصمة كوبنهاجن حيث التجمع الكبير للمسلمين، وقد يتحول معظمها لمقاهٍ ومنتديات ومراكز لشركات سينمائية ومراكز لعرض اللوحات الفنية.
أما الكنائس التي بنيت في القرون الوسطى والتي تنتشر في القرى وخارج المدن الكبيرة فستكون ـ حسب إدارة الكنائس ـ خارج الكنائس المطروحة للبيع، ولكن فكرة بيعها للمسلمين مرفوضة من كل الجهات الرسمية والشعبية، ووضح ذلك بعد أن عبرت عدة جهات إسلامية عن رغبتها في شراء إحدى الكنائس وتحويلها لمسجد مما أثار قلق إدارة الكنائس في أن تتحول الكنائس إلى مساجد، وإعطاء صورة عن الدولة بأنها قد بدأت تتحول إلى دولة إسلامية!

هذا التواجد الإسلامي دفع القناة الثانية الدنماركية لعرض فيلم وثائقي عن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ترجمته إلى اللغة الدنماركية وعنوانه:"إرث النبي محمد Muhammad:Legacy of a proghet"قاربت مدة عرضه ثلاث ساعات، وهو من إعداد وإخراج "مايكل ولف" و"أليكساندر كرونيمر". وقد عرض الفيلم بداية على قناة "PBC الأمريكية" بعد أن وجد ترحيبًا كبيرًا في الغرب: يحكى الفيلم ماذا يعتقد المسلمون الأمريكيون، ويأخذ الفيلم الوثائقي المشاهدين إلى البيوت والمساجد، وأماكن عمل بعض من مسلمي أمريكا، لاكتشاف الطرق الكثيرة التي فيها يحذون

حذو النبي عليه الصلاة والسلام، وكيف يترجمون حياته ورسالته إلى اليوم. يقول "مايكل شفارتس" منتج الفيلم:(هناك ستة إلى سبعة ملايين مسلم هنا في أمريكا حيث الإسلام هو دين البلد المتنامي السريع، لكن أمريكيين كثيرين يجهلون تماما قصة حياة الرجل الرائع الذي أنشأ هذا الدين منذ ١٤٠٠ سنة). بينما يضيف مخرج الفيلم "مايكل ولف" وهو أمريكي مسلم: (محمد هو التاريخ في زمن المضارع، نفكر في قصة القرن السابع الميلادي، هذه من خلال تجارب أمريكيين القرن الواحد والعشرين والذين يشعرون بشدة أنهم متصلون بما عمله محمد صلى الله عليه وسلم).

أما من رسم هذه الرسومات فقد كان جاهلًا ليس فقط بشخص ومكانة وتاريخ وفكر من رسمه- صلى الله عليه وسلم - بل جاهلاً أيضاً بالدين الذي جاء به، وإلامَ يدعو، وما إذا كان يؤذي عقيدة المخالفين له لمجرد المخالفة وحسب؟. نعم ، كان جاهلاً وليس هو فقط بل كل من أيدوه وناصروه وهم يرقصون نشوةً وطربًا ويطلقون صيحاتهم الخرقاء بأنهم أحرار في التعبير عما يعتقدون، وهذا ما يثبت حجم الآلة الإعلامية الضخمة التي تصور لهم الإسلام ورسوله بكل هذا السوء، ولقد نجح الكاتب الصحفي "عادل حمودة" في إثبات جهلهم حين هداه تفكيره إلى إعداد ورقة حول موقف الإسلام من الأديان الأخرى وبعث بها إلى مقر ملتقى رسامي الكاريكاتير "توماس التمان" الذي اعترف بعد أن قرأها:(أن ما جاء في الورقة مذهل بالنسبة له ولكل الذين قرأوها بعد ترجمتها، وأنه لم يكن يتصور أن الإسلام ينصف المسيحية أو يقدس المسيح عيسى بن مريم أو أمه كما جاء في القرآن الكريم: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾آل عمران :(٤٢)، وحين أرسل الله لها الروح الأمين جبريل في صورة بشرية ليهب لها غلامًا﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ مريم:(١٩)، وتعجبت مريم مما سمعت، ﴿ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا '' مريم:(٢٠)،﴿ قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا

مَقْضِيًّا ﴾ مريم:(٢١)، وحين وقعت المعجزة ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ آل عمران:(٤٥)"، شعر التمان ومن معه بأن القضية تتعلق في الأساس بجهلهم بموقف الإسلام من الأديان الأخرى، ومن قبل كانوا يظنون أن الإسلام دين يدعو إلى التعصب ضد من يخالف عقيدته وشريعته.

ولعل من الأمور المحمودة و التي لم يحسب لها المعاودون للإساءة حساب، أن هذه الرسوم المسيئة وردود الفعل الغاضبة تجاهها بين المسلمين في العالم دفعت كاتبة دنماركية إلى التعرف إلى الإسلام ونبيه والدخول في الدين الإسلامي الحنيف والقيام بالحج إلى بيت الله الحرام ودونت هذه التجربة الفريدة في كتاب نشرته مؤخرًا. بينت فيه كيف دفعها فضولها لمحاولة فهم دوافع غضب المسلمين في مختلف أنحاء العالم وهبّتهم دفاعًا عن نبيهم عليه الصلاة والسلام، ليقودها ذلك في النهاية إلى النطق بالشهادتين بل ودخول الإسلام، وإضافة اسم (عائشة) إلى اسمها تيمنًا منها بأم المؤمنين السيدة عائشة رضيّ الله عنها وأرضاها. ولقد سجلت رحلتها لكي يقرأها الدنماركيون، أملاً في أن يشرح الله صدورهم للإيمان. الغريب أن الكتاب بيع بشكل جيد في الدنمارك وما زال يطلب في ظل الأوضاع الراهنة التي تعيشها البلاد على خلفية نشر الرسوم المسيئة مرة ثانية.

وقد اعتنق أيضًا مقيم بالسعودية من الجنسية الفلبينية الإسلام، عندما سمع أخبار الإساءة لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم من خلال إعادة نشر بعض الرسومات المسيئة في صحف دنماركية. وجاء إسلام الفلبيني هذا بعد أن سمع ردود أفعال المسلمين على هذه الإساءة حيث بدأ يتساءل لماذا يحدث ذلك دائماً من بعض النصارى، خصوصا وأن المسلمين لم يسبوا السيد المسيح عليه السلام ــ بحسب ما ذكره مسؤولون في المكتب التعاوني لدعوة الجاليات بنجران ــ فوضحوا له أن المسلمين يحبون ويقدرون جميع الأنبياء عليهم السلام،

فما كان منه إلا أن أعلن اعتناقه للإسلام وتسمى باسم أبي بكر.

وكم كانت الخسارة مزدوجة ومضاعفة لمن أرادوا الإساءة للإسلام فقد جاءت إساءتهم مكسبًا لا يتصورونه وذلك برجوع بعض أبناء الجالية الإسلامية ممن جرفهم طوفان الذوبان الغربي المنحل إلى دينهم الحنيف واشتعال جذوة حميتهم لرسولهم صلى الله عليه وسلم ولدينهم ، وهذه مزية هذا الدين المناضل والمكافح ضد كل من يحاول وأده، وفي هذا إثبات جيد على جهل من تجرأ وأساء لشخص رسولنا صلى الله عليه وسلم، فهو لا يعرف من هو محمد صلى الله عليه وسلم، ولا يَعلم معنى الاعتداء الذي ارتكبه هؤلاء الجهلة ضده صلى الله عليه وسلم ومدى خطورته في المجتمع الإسلامي، إلا من عرف الإسلام على حقيقته، وعرف مكانة الإسلام والنبي محمد صلى الله عليه وسلم لدى المسلمين مهما كان مستوى التزامهم الديني، ولكنها الحماقة التي تطغى على العقل، والحقد الذي يعمي ويصم، وفَعْلَتهم هذه إعلان عن إفلاسهم الحضاري في التعامل مع مليار ونصف المليار من البشر، وانحطاطهم الأخلاقي في التعامل مع مواطنيهم من المسلمين.

أن كل ما تقدم يدفعهم حقدًا لتكرار تلك الإساءات لعلها تشفي ما في صدورهم من غل تجاه رسول المسلمين صلى الله عليه وسلم ، فقد أعلنت منظمة يمينية دنماركية تُدعى:"وقف أسلمة أوروبا" عن إجراء مسابقة لرسومات جديدة مسيئة للرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وللإسلام عموما، وقال مسؤول في المنظمة الدنماركية لصحيفة "يولاندس بوستن" التي نشرت الرسومات المسيئة أول مرة في عام ٢٠٠٥م: "نحن الآن بصدد عمل رسوماتنا الخاصة عن النبي محمد ، حتى نتخلص من هذا المنع"، وأكد أن هذه الرسومات ستكون فعالة، على غرار ما قام به الرسام "فيستر جوورد" صاحب إحدى الرسومات المسيئة. وأكدوا رغبة منظمتهم في رؤية الرسومات المسيئة منشورة في كل مكان، حتى يرهقوا

المسلمين فلا يقومون بردود أفعال بعد ذلك، كما قال ممثلهم: (نريد أن نجعلهم يتعبون حتى النهاية، بحيث لا يستطيعون بعدها حمل عود ثقاب في جيوبهم). وليس مجهولاً أن تلك المنظمة معروفة بالتنسيق على الساحة الأوروبية ضد الإسلام والمسلمين، وتملك شبكة علاقات مع المؤيدين لإسرائيل، وتتسم مواقفها بكثير من التطرف.

وهذا ما يثبت تحالف اليهود مع مسيحيو الدينمارك، كما يثبت تحالفهم أيضًا مع كل المنظمات المتطرفة التي تتفشى في سائر البلدان الأوروبية والتي تهاجم المساجد، وتطالب بوقف بنائها، ومنع بناء المآذن، والحض على إصدار القوانين التي تمنع النقاب، كما يثبت أن سبب معاودة الإساءة هو انتشار الإسلام بدليل تسمية جمعيتهم الخاسرة باسم "وقف أسلمة أوربا"، وهو ما يثبت أخيرًا سر ذلك التحالف المشين عندما تعاونوا في إنتاج وإخراج هذا الفيلم الأخير"براءة المسلمين".

الأمر الذي يثبت أيضًا بأنهم أغبياء، فزحف الإسلام قادم هادرٌ مقاوم، شاؤوا أم أبوا فالإسلام قادم ، فليكفوا إذن عن تكرار تلك المحاولات البائسة اليائسة، لأنهم وحدهم الذين سوف يتعبون وينهكون وفي النهاية بإذن الله عز وجل إما سيقبلون بالأمر الواقع فيسلموا مع من أسلم أو يموتوا بغيظهم كمدًا وقهرًا.

الفصل الثالث: خواطر مسلم في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم

ذكرت آنفًا أنني قلت لذلك الرسام المأفون: (أن من صورته في هذه الصور المهينة يعـيش في قلب ألف مليون وخمسمائة مليون مسـلم، تـدق نبضـاتهم في كل صـلاة بالصـلاة والسـلام عليه، ومنتهى أمانيهم أن يقابلوه في الجنة وأقصى أمـانيهم في الحيـاة أن يـروه ولـو منامًـا، والذي يقرأون سيرته ويحفظون أقواله ويخافون من الكـذب عليـه، ويخشـون مـن أفعـالهم السيئة في الدنيا حين يلقاهم في الآخرة).

وها أنا ذا أسوق تلك الخواطر لمسلم في حضرة الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم بالمدينـة المنورة، لعله يعرف هو وغيره بعد أن يطالعها قدر من أسـاء إليـه بجهـل في نفـوس تابعيـه، ويفسر له سر غضبهم تجاه من يسيؤون إليه:

والسيارة تدخل متهادية مدار مدينة الحبيب، كأنها تـدلف براكبهـا حـدود كوكـب دري مبتور عن جغرافية كل العالم كجزيـرة لا يحـدها إلا طهـور النـور، يُعَـبِّر المسـجد النبـوي الشريف عن وجوده قبل أن نراه بمئذنتيه الشهيرتين كذراعين من ضياء تناجيـان السـماء، فإذا بالروح تسبح في الملأ القدسي تعلو بالجسد حيث لا جسد ولا كينونة. الزمن البشري بكل عقارب ساعاته قد توقف داخلي، واشربت كل خلجة مني وكل لمحة فيّ لتسجل بانبهارٍ حبيب عظمة تلك اللحظات.

ما كدت أعبر عتبة حرمه الشريف صلى الله عليه وسلم من بـاب عبـــــد



المجيد حتى وقع نظري على القبة الخضراء الشهيرة التي صارت علمًا على المسجد والقبر وساكنه، فيخفق قلبي خفقانا يعلو وجيبه ليصم الأذنين فلا أكاد أسمع شيئا، وحولي زرافات من محبيه وتابعيه وزائريه يرفلون في أزيائهم البيضاء يهرولون للقائه في شوق محموم.

يملؤني إحساس غريب بوجوده صلى الله عليه وسلم بأنه في انتظارنا ببسمته الوضاءة، يفرش لنا رداؤه كي ما نتحلق حوله صلى الله عليه وسلم وخبر السماء لازال يتنزل عليه وكأن جبريل لم تنقطع زيارته له.

أحس بأنه حي في المدينة مازال دربه موصولاً بين بيته وأحبته ساكني البقيع يصاحبه غلامه أبا مويهبة رحلة العودة بعد أن يسلم ويترحم عليهم، جميعنا من مختلف الجنسيات ومن شتى البقاع لم نأت لزيارة غائب بل حاضرٌ يشتاقنا كما نشتاقه، والشوق لا يكون أعظمه وأوج حرارته إلا بين أحياء وأحياء.

أقف أمام قبره صلى الله عليه وسلم وصوتٌ داخلي يسري يصاحب خُطُواتي إليه: (هنا يرقد حبيبك وشفيعك الذي طالما قرأت عنه وقرأت له أحاديث شريفة غاية في الإعجاز والبيان والفصاحة ودقة اللفظ دون إبهام أو غموض مع بلوغ الهدف من مراميها بأيسر السبل، هنا يرقد معلم البشرية الخير، من تحاول جاهدًا أن تتبع سنته وتتأسى بخطاه. هنا قبر الحبيب المصطفي محمد صلى الله عليه وسلم).

أقف وكل هذه السنحات تمر برأسي، أقف وقفة المتهيب في حضرته صلى الله عليه وسلم ،



أنظر خلف تلك المشرفيات كأنه رآني، أرتعش أكثر وأتهيب أكثر، ثم ألقي عليه السلام بحبٍ عميق وخشوعٍ جم، وكأني سمعته يرد عليّ السلام الذي عَبَرَ مسامعي وأطرافي وغزا قلبي كسريان النسيم البارد الناعم مُرحّبًا بي في رحابه وحرمه ومسجده وبيته صلى الله عليه وسلم.

يتحول نظري يمينه صلى الله عليه وسلم ـ ولا يتحول قلبي عنه أبدًا ـ فألقى السلام على صاحبيه اللذين آثرا ألا يصاحباه رحلة الحياة وحسب، بل ورحلة الممات ليظل الحب موصولاً والأنس غير مجدود، فلقد كانا ـ رضيّ الله عنهما وعن سادتنا الصحابة ـ للرسول صلى الله عليه وسلم بمثابة السمع والبصر ـ وأنّى لبشر ـ أن يستغنيَ عن سمعه وبصره؟

لم يكن وقفتي عند قبر رسولنا المصطفي صلى الله عليه وسلم وقفة للتحية وتمضي ـ بل كلها دروس وعبر مستفادة يتوجها هذا الإخلاص من رجال تدربوا وتلقوا ونهلوا وشربوا و تضوعوا من أريج شجرة ومدرسة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وقفة تردك للماضي السحيق قبيل زمن البعثة المباركة لنستطلع فيه حال الخليفتين وما كانا عليه، ثم حالهما في زمن الهجرة ومقامهما بالمدينة، والعودة مع فتح الفتوح لمكة المكرمة وصحبتهما للرسول القائد صلى الله عليه وسلم في الغزوات والمواقف الحرجة التي مرت بها الرسالة، ليتفجر من كل هذه المواقف تساؤل: ومن لنا بمثل الرجلين، بل ومثل الصحابة الكرام أجمعين رضوان الله عليهم؟، لقد مضوا مع زمن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فكأنهم خُلقوا له لزمنه هو ثم آثروا الرحيل، فهم رجال عشقوا الرجولة حياةً كما عشقوها مماتًا، وعندما تنظر أمامك ووراءك وتستطلع محيط الكون كله لتبحث عن مثلهم فلا والذي سمك السماء لن تجد ، فقد كان لديهم علوا في الهدف وسموا في الحب لله عز وجل وللعقيدة

السمحة ولرسولهم ومعلمهم صلى الله عليه وسلم، حب لم يشكله اللفظ وحده من خطب رنانة وأقوال جوفاء بقدر ما كان نهجه كل ما هو عملي وفهم عميق لمعنى ومبنى الرسالة التي دانوا بها، فإن دعاهم داعي القتال كانوا أول من قاتل، أو نادى المنادي بالهجرة لم يتأخروا فيهاجروا بحرًا وبرًا، أو دعت الحاجة للمال بذلوه هينًا رخيصًا حبًا وكرامة لقاء أجر الله تعالى، يفتدون نبيهم وسيدهم بأرواحهم وأبنائهم وأهليهم إن طلب وإن لم يطلب فكلهم رهن الإشارة ورهن الأمر لا الطلب وحسب، إنهم العترة المحمدية، التلاميذ النجباء الأوفياء السابحون في النهر المحمدي الصافي الفياض الطاهر، نهلوا من ينابيعه، وأُشرِبوا تعاليمه، ووعت عقولهم وجوارحهم وأرواحهم وشغاف قلوبهم أقواله وأفعاله وسكناته وحركاته، فتحلقوا حوله صامتين خاشعين كأن على رؤوسهم الطير ليسري فيهم وبينهم نورُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم فينصرفون والنور يصاحبهم حتى لتكاد تصافحهم الملائكة في الطرقات.

ويقطع عبق وقفتي الألسن اللهجى بشتى اللغات واللهجات من شعوب شتى عُرب وعجم كلهم جاؤوا من فِجاج الأرض يقرؤنك يا سيدى السلام ويستظلون بروضتك الهنية ويتنسمون روائحك الطاهرة الزكية ويستشرفون آفاق تلك الروح العالية، وأنت يا سيدي يا رسول الله صلى الله عليك وسلم قائمًا بينهم لا تمل منهم ولا يملون منك، يستعذبون وجودك، ويرفضون مغادرة حضرتك الندية. فإذا فارقوا فالدمع الثخين ينثال لاهبًا الخدود مخافة عدم اللقاء بك مرة أخرى، فيناشدونك أن تطلبهم وتدعوهم إلى مدينتك مرات ومرات.

ويغلق مسجدك يا سيدي أبوابه بعد التسليم من العشاء بوقتٍ قصير، فنمضي وملئ جوانحنا وتحت جنوبنا ومضاجعنا نار الشوق تلهبنا، فأطل على مآذنك



السامقات لا أقطع ما بيننا من حديث ووجد، وأحيانًا ألـف ماشـيًا حـول الأبـواب كالطـير روحًا خفاقة لا تمل ولا تكل، وهل إلى مزارك ومسجدك جئت لكي أنم، وهل قطعت تلـك الأميال الطوال لتكون مدينتك مضجعي، بل حرمت على عينيّ الكـرى كي تقـر برؤيتـك يـا حبيـــــــــــــبي يـــــــــــا رســــــــــول الله.

لم يكـد يسرى آذان الفجر منسـابًا كالنـور في أنحـاء المدينـة المنـورة حـتى دبـت الحيـاة في الشوارع تقطع سكون الليل حركة دبيب الأقدام المهرولة إلى المسجد النبوي العامر لتؤدي فرض الله ثم تتواصل مع الحبيب صلى الله عليه وسلم حتى تباشير الصبح لتصل ما انقطـع من حديث ووجد ما انقطع أبدًا .. فأنت يا رسول الله فينا قائمًا، حيًا داخلنا ، فو الذي نفس محمدٍ بيده لم تغب عنّا حتى ونحن في بلادنا وبين ظهرانينا، وداخل ديارنا وبين الأهل نتعطر بذكرك، ونتذكر مآثرك، وندعو بدعائك المأثور، ونتـدثر بنـورك، ونستشـفع بـك صـلى الله عليك وسلم في دعائنا لربنا سبحانه وتعالى.

وها قد دعا داعي الرحيل وعليّ أن ألملم شتاتي لرحلة العـودة، فأسـتثقلتْ الخطـوات الـتي كانت تهرول إليك مسرعة ومالها لا تفعل فقد أتت تحمل صاحبها مودعـة، ولسـت أحسـن حالاً منها فالدمع يذيبني والحسرة تملك مجامع قلـبي خوفًـا مـن ألّا ألقـاك بعـدها ولكـم تمنيت الموت بالمدينة وأنا فيها إعمالاً لقولك صلى الله عليك وسلم:"من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليفعل فإني أشهد لمن مات بها"، حـتى لا أفـارق ديـارك أو أبـرح مـدينتك، ولكن وجب الرحيل فوجب الوداع ووجب أن أقول بملءِ القلب: (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا سيدي يا رسول الله، السلام عليك يا خـير خلـق الله، السلام عليك يا من أرسله ربه عز وجل رحمة للعالمين، السلام عليـك يـا سـيد المرسـلين وخاتم النبيين وإمام المتقـين، وقائـد الغـر المحجلـين، السـلام عليـك يـا مـن وصـفه الله بقوله:﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ وبالمؤمنين رؤوف رحيم، السلام عليك وأسألك الصحبة،

وأسألك مرافقتك في الجنة، فاللّٰهُمَّ عودًا إليك، حبًا وكرامة واقتداء، عليك يا رسول الله ومن مجامع قلبي الذي ينبض بحبك عليك الصلاة وأزكى السلام).

الباب الثاني: الإساءة إلى الأنبياء

- الإساءة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم
- الصور والرسوم المسيئة للمسيح عليه السلام

الفصل الأول: الإساءة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم

تواكبت الإساءة إلى شخص رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم مع بزوغ أول شعاع لنور دين الإسلام في مكة المكرمة، وكان مبعثها المشركين عبدة الأوثان، الذين لم يتوانوا ولم يكلوا عن ركوب كافة الوسائل والأساليب من تحقير لشخصه صلى الله عليه وسلم، والاستهزاء به وتكذيبه فيما يقول، لمحاربته في شخصه بغية وأد دعوته في مهدها، كما لم يكفوا عن التشنيع عليه بكل ما يشوهه من شبهات رخيصة لصد الناس عنه صلى الله عليه وسلم.

فحينما انبثق الإسلام في مكة المكرمة، هبت جميع الزعامات والقيادات في وجهه، تقاومه وتحاربه بكل ما أوتيت من سلطان ونفوذ، وبكل من ورائها من أتباع وأنصار، وقد وحدت هذه الحرب بين الزعماء في جبهة واحدة، هي حرب الإسلام، فقد رأوه جميعًا خطرًا على نفوذهم، وتهديدًا لزعامتهم، فبذلوا كل ما في نفوسهم من جهد وكل ما يملكون من قوة، يصبونها أحيانا على الأفراد، ويدفعون بها أحيانا إلى حروب عامة (١) وهي نفس المخاوف التي راودت الغرب المسيحي على الضفة الأخرى من العالم مما حدا بأنتوني ناتنج أن

يقول: (منذ أن جمع محمد صلى الله عليه وسلم أنصاره في مطلع القرن السابع الميلادي، وبدأ أول خطوات الانتشار الإسلامي، فإن على العالم الغربي أن يحسب حساب الإسلام كقوة دائمة، وصلبة، تواجهنا عبر المتوسط)(٢) .

ومع دخول الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة مهاجرًا ذلك الدخول الإحتفالي الذى أثار عليه حفيظة قلوب المنافقين، وحقد اليهود الكارهين، تغيرت الوسائل والأساليب؛ فقد كان اليهود أهل كتاب ولذا فقد شوشوا على دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم متهمين إياه باقتباس آيات القرآن الكريم من توراتهم المزعومة، ولما لم يفلحوا عمدوا إلى تأليب أهل المدينة عليه بمؤازرة المنافقين، وذلك بإثارة النعرة القومية بينهم، واستثارتهم ضد محمد المكي الذي جاء طامعًا في بسط سلطانه وهيمنته على المدينة، ومن هذا القبيل الشيء الكثير مثل استكتاب شعراؤهم قصائد لاذعة في هجائه صلى الله عليه وسلم.

لقد كانت إساءة نصارى العرب للرسول صلى الله عليه وسلم أسبق من إخوتهم في الغرب، بيد أنها كانت في نطاق ضيق وصاحبها الدفاع الفوري أيضًا:

ـ قال يونس بن بكير عن ابن إسحاق: حدثني بريدة بن سفيان عن ابن البيلماني، عن كرز بن علقمة قال: قدم وفد نصارى نجران ستون راكبا، منهم أربعة وعشرون رجلا من أشرافهم، والأربعة والعشرون منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم: العاقب، والسيد، وأبو حارثة أحد بني بكر بن وائل أسقفهم، وصاحب مدارستهم، وكانوا قد شرفوه فيهم، ومولوه، وأكرموه، وبسطوا عليه الكرامات، وبنوا له الكنائس لما بلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم، فلما توجهوا من نجران جلس أبو حارثة على بغلة له وبجانبه أخ له يقال له: كرز بن علقمة يسايره، إذ عثرت بغلة أبي حارثة. فقال كرز: تعسَ الأبعد - يريد رسول الله ــ [وفي رواية أخرى: تعسًا للأبعد!]. فقال له أبو حارثة: بل أنت تعست [وفي رواية أخرى: بل تعست أمك]. فقال له كرز: ولِمَ يا أخي؟، فقال: والله إنه للنبي الذي كنا

ننتظره.

فقال له كرز: وما يمنعك وأنت تعلم هذا. فقال له: ما صنع بنا هؤلاء القوم شرفونا، ومولونا، وأخدمونا، وقد أبوا إلا خلافه، ولو فعلت نزعوا منا كل ما ترى.قال: فأضمر عليها منه أخوه كرز حتى أسلم بعد ذلك (٣).

أما عن إساءة الغرب لرسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم في عصرنا الحديث أو منذ علمهم بظهوره، فقد تميزت بالتقدم النوعي تحت غطاء البحث العلمي والمنهجي من أجيال متتالية تسلم الشعلة إلى بعضها في إصرار عجيب وغريب، منذ كانوا يعيشون في حاضرة الخلافة الإسلامية الزاهرة، أو مع بدايات الحروب الصليبية التي شنوها على الشرق الإسلامي.

تأتى شهادة المستشرق الفرنسي "مكسيم رودنسون"(٤) الذى يراه الدكتور محمود حمدى زقزوق أنه قريب من الاعتدال والاتزان في معالجة بعض المسائل الإسلامية، بأن بداية إفتراءات الغرب على شخص رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم مع الحملات الصليبية الغربية، فيقول:(لقد حدث أن الكتاب اللاتين، الذين أخذوا بين سنة ١١٠٠م، وسنة ١١٤٠م على عاتقهم إشباع هذه الحاجة ــ أي كراهية الإسلام ـ لدى الإنسان العامي، أخذوا يوجهون اهتمامهم نحو حياة محمد، دون أي اعتبار للدقة، فأطلقوا العنان لجهل الخيال المنتصر فكان محمد: ساحرًا، هدم الكنيسة في إفريقيا، والشرق عن طريق السحر والخديعة، وضمن نجاحه بأن أباح الاتصالات الجنسية ، بل كان محمد ـ في عرف تلك الملاحم ـ هو صنمهم الرئيسي- وكان معظم الشعراء الجوالة يعتبرونه كبير آلهة السراسنة ـ البدو ـ وكانت تماثيله تصنع في مواد غنية، وذات أحجام هائلة).

وجاءت ملحمة "أنشودة رولان Chanson de Roland" التي كتبها "كونراد" ـ شاعر الكنيسة ومؤلف الملحمةـ أثناء القرن الثاني عشر الميلادي في ريجنز بورج وهي أقدم ما وصلنا من تراث فرنسا الأدبي لتقف خير شاهد على بداية مشروع الغرب

المسيء، وفيها يخاطب كاتبها المسلمين ورسولهم صلى الله عليه وسلم قائلاً: (قد أرسلني إليك ـ القيصر ـ لأطيح رأسك عن كتفيك، وأطرح للجوارح جثتك، وأمتشق برمحي هامتك. ولتعلم أن القيصر قد أمر كل من يأبى أن تعمده الكنيسة ليس له إلا الموت شنقًا أو ضربًا، أو حرقًا. إن أولئك جميعا دون استثناء حزب الشيطان اللؤماء، خسروا الدنيا والآخرة، وحل عليهم غضب الله، فبطش بهم روحًا وجسدًا، وكتب عليهم الخلود في جنهم أبدًا).

يؤكد الباحث الأمريكى "زكاري لوكمان" (٥) :(إن ظهور الإسلام اعتبر ككارثة مطلقة، وفي البداية اعتمد الأوروبيون على المنقولات الشفهية، والنتيجة قدر كبير من التخيلات والأوهام والتشويه والصور النمطية. كما فشلوا بإدراك أن الإسلام ديانة توحيدية بل ظل المسلمون في المخيلة كوثنيين، ثم جاءت الحروب الصليبية وبدأ معها مفعول عبارة "اعرف عدوك"، لكنها معرفة من أجل السيطرة والإبادة، فنُقلت النصوص العربية إلى اللاتينية، وتُرجم القرآن، وبدأ الاشتباك مع تراث العرب والمسلمين في الطب والفلك والرياضيات والفلسفة)(٦).

بينما تُرجِع "باتريشيا كرون" (٧) بداية الإساءة لوقت مبكر عن تاريخ رودنسون، فتقول:(ولا شك في وجود محمد على الرغم من المحاولات من وقت لآخر لإنكار ذلك، فجيرانه في سوريا البيزنطية سمعوا عنه بعد عامين من رحيله على الأكثر، ويذكر نص يوناني كتب أثناء الغزو العربي لسوريا بين عامي ٦٣٢، ٦٣٤ أنه:"ظهر نبي زائف من العرب"، ويرفضه النص ويستهجن بعثته على أساس أن الأنبياء لا يأتون وهم يحملون السيوف، ويركبون فوق المركبات الحربية (٨).

أما التاريخ فيشهد أن انطلاق أول موجات الإفك والافتراءات النصرانية ضد الإسلام



والقرآن والرسول عليه الصلاة والسلام فكانت قبيل الحروب الصليبية بقرون على يد وبقلم وبلسان "القديس يوحنا الدمشقي" أحد أكبر آباء الكنيسة الأرثوذكسية وبسبب قيمته الدينية الكبرى نال لقبين ذوي شأن هما: "القديس يوحنا" و"يوحنا ينبوع الذهب".

ولم يكن ذلك "الدمشقي" غريبًا عن المجتمع الإسلامي بوجهٍ عام أو عن المجتمع العربي بوجهٍ خاص حيث كان من كبار موظفي بلاط الخلافة الأموية، فقد كان يتقن العربية كأهلها، و معايشًا وملمًا بالبيئة الثقافية العربية الإسلامية، ولذا فقد استعان بثقافته العربية على فحص ونقد القرآن الكريم، حيث صب آراءه ضد الإسلام والقرآن والرسول في كتابٍ له أسماه:"ينبوع الحكمة" خصص فيه فصلا كاملا في قسم البدع للجدل ضد الإسلام، مما جعل مقالاته فيه هي الأساس التي بني عليها معظم المستشرقين أفكارهم ودراساتهم خاصة، وأن أهم ما يعطي كتابات "الدمشقي" أهميتها لديهم أنها صادرة عن رجلٍ عاش بين العرب بالإضافة لكونه موظفًا مرموقًا قريبًا من رأس السلطة الإسلامية.

تدور آراء "الدمشقي" في أغلبها حول أن الإسلام ليس ديانة بل هرطقة مسيحية و لا يمت بصلة لدين إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو المسيح الدجال أو على الأقل هو من يمهد لظهوره، وتارة يجعل "الدمشقي" النبي عليه الصلاة والسلام "آريوسي" وتارةً يجعله "نسطوري" وذلك بسبب تأكيده صلى الله عليه وسلم على أن المسيح مخلوق وإنسان مجرد؛ إذ أن الأريوسية تنكر ألوهية المسيح عليه السلام والأرثوذكسية تثبتها، ثم جاء "نسطور" بعد ذلك ليجد الخصومة قائمة بين طرفين أحدهما يلقب القديسة العذراء بلقب"والدة الإله" والآخر يراها مجرد "والدة إنسان". فلجأ نسطور إلى التوفيق بينهما بأن اقترح عبارة "والدة المسيح". معتقدًا أن كلا الطرفين سوف يرضى بها. ويعتقد "نسطور" أن اتحاد اللاهوت بعيسى الإنسان ليس اتحادًا حقيقيًا، بل ساعده

فقط، وفسر الحلول الإلهي بعيسى على المجاز. ثم يظهر تيودور أبو قرة(٩) ويكرر أقوال يوحنا الدمشقي من أن الإسلام هرطقة نسطورية.

ثم تناوبت الألسن الحاقدة نقل نفس الافتراءات من جيل إلى جيل، ليرد عليها علماء المسلمين تفنيدًا وتصويبًا مؤيدة بمختلف الأسانيد التاريخية، والدلائل العقلية، ولكنهم دأبوا على اللجاج و استغشوا ثيابهم وأصروا إلا أن لا يسمعوا إلا ترهاتهم، ليؤكدوا بذلك أنهم لو كانوا يريدون الحق لانتهوا إن لم يؤمنوا.

ولم تلبث بيزنطة أن تستلم راية التشهير بنبي الإسلام عليه الصلاة والسلام ممثلةً في شخص مؤرخها "ثيوفانوس المعترف"، فيقوم بغمس قلمه الخبيث في مداد التلفيق والتزوير فيؤلف كتابًا حول حياة رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، صار مرجعًا رئيسيًا ينهل منه المستشرقون مع أنه لم يستند إلى مراجع محترمة من مصادر رئيسية تؤيد أقواله.

ولم تخرج تهويماته عن ذلك المعروض اليوم من غثاءٍ ورغاء حول يُتم الرسول صلى الله عليه وسلم، وفقره، واقترانه بثرية تكبره بعدما أوقعها في شباكه بطرق ملتوية، مما مهد له السبيل في اكتناز ثروتها، وسفره إلى فلسطين مما أتاح له فرصة الاحتكاك بأهل الكتاب فنهل من كتبهم المنزلة!

إن الغرب المسيحي يبدو دائمًا تجاه المستجدات الدينية التي تخالف منهجه غير المحايد وغير الأمين، ولذلك فهو يبدأ بثورة عارمة مصحوبة دومًا بالاتهامات المقولبة والمعلبة التي يلقونها في وجه الخصم في محاولة آثمة للنيل منه بُغية إقصائه عن طريقهم سواء بحق أو بغير حق، والشواهد على ذلك كثيرة غير أن أقساها وأقصاها ما تعاملوا به مع نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم.



أما الذي يدل على ذلك، الذي ذهبنا إليه أنه بمطالعة ما دونوه ضد المصلح الألماني الإنجيلي "مارتن لوثر"(١٠) لن يبعد كثيرًا عن ذلك الجو الاحتفالي بإطلاق حزمة الاتهامات المسفة في حق نبينا صلى الله عليه وسلم، مع الفارق الهائل بين الرجلين، فهذا نبيٌ مرسل، وذاك مصلح معاصر يعلمون عنه أو لا يعلمون ما يقولون، ودون الحاجة لاستجلاب وتكرار ادعاءاتهم في سيد الخلق صلى الله عليه وسلم، سنسرد ما قالوه في حق "لوثر" لا لشيء إلا لأنه خرج على وعن الكنيسة الكاثوليكية: "شخص ضل السبيل وانقطع عن الصلاة فصار شقيًا تعسًا في حياته، كما أنه كان السبب في بؤس الشعب الألماني"، بل وصفه "ف.أ.هار" في كتابه المعنون:"حقائق لوثر" بأنه:(كان يعاني من مرض نفسي منذ صباه، وقد التحق بالدير دون دعوة حقيقية وأنه كان فاسد الأخلاق والإيمان، وهو زانٍ، وبطل كاذب، نبي كاذب و مصلح كاذب، يهدم ولا يبني، كان مشوهًا وليس مصلحًا، فهو يهوذا وهو عدو المسيح وخادم الشيطان).

ومثلما نقل كتاب الغرب المحدثين عن كتاب "ثيوفانوس المعترف" كل ما يقدح في شخص نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم، دون تثبت أو إعمال الفكر، فعل ذلك الفعل كل من قدح في شخصية لوثر فقد نقلوا كل أفكارهم فيه وعنه من كتاب ألفه عن لوثر بعد موته بثلاث سنوات كاهن كاثوليكي ألماني يدعى"يوحنا كوكلاوس"، قال فيه:(ابن شيطان ويسكن فيه إبليس، وقد امتلأ بالكذب والكبرياء .... كان سكيرًا وشهوانيًا، كان مجردًا أيضًا من الضمير، وبناءً عليه فقد استخدم كل الوسائل واستحسنها، فهو رجل كذاب، مرائي، جبان، مشاغب).

يقول الدكتور القس حنا جرجس الخضري (١١): لقد استطاع "كوكلاوس" لا أن يصحح



الصورة في أذهان معاصريه، بل أن يعطي صورة سوداء مشوهة غير حقيقية قد لصقت في أذهانهم و أذهان الأجيال التالية ضد المصلح الألماني!

لا يحتاج الأمر إلى تعليق لكي يتبين القارئ مدى خسة ذلك المنهج غير العلمي ـ إذا جاز لنا أن نسميه منهجًا ـ الذي يمارسه الغربيون ضد من يعارضهم، لتزول بذلك معظم الدعاوي التي تصفهم بالعقلانية، والحيادية، والنزاهة العلمية في أغلب نقدهم للإسلام ورسول الإسلام صلى الله عليه وسلم، وليس أدل على ذلك من اعتراف جيبير النوجنتي ـ أحد أهم المؤلفين في القرون الوسطى ـ بأنه لا يعتمد في كتاباته عن الإسلام على أية مصادر مكتوبة، بل لا يوجد لديه أية وسيلة للتمييز بين الخطأ والصواب.

لا تكاد تلامس أقدامنا أرض القرن الثامن عشر في أوربا حتى تتبدى لنا نشوة العلم الجديد ـ علم مقابلة الأديان ـ والتي دفعت أصحابها إلى تحميل المشابهات والمقارنات فوق طاقتها، إذ نرى أمامنا في هذا العصر أن هذه المشابهات لا تنفي ولا تثبت، بل لعلها إلى الإثبات منها إلى النفي على الإجمال، كما قال العقاد (١٢).
و في هذا العصر يطالعنا رواد التنوير من كبار الفلاسفة العقلانيين، أمثال:
"فولتير Voltai"رغم انتقاده التعصب الديني، ومناداته بفكرة التسامح، فقد صور النبي الكريم صلى الله عليه وسلم كنموذج للتعصب والطغيان الدينيين، في استغلاله مشاعر البسطاء ومعتقداتهم الساذجة لبلوغ "غاياته الشريرة"، كما أنه في نظره، متعصب، عنيف، محتال، وعار على الجنس البشري، وأنه انتقل من كونه تاجرًا، ليصبح نبيًا مشرعًا وملكا.

غير أن فولتير للإنصاف عاد ليهدم آراءه تلك بعدما تعرف على الإسلام من خلال قراءته "سيرة حياة محمد" لمؤلفه "هنري دى بولونفيوس"، لينشر بعدها كتابه:"أخلاق الأمم



وروحها" دافع فيه عن نبينا عليه الصلاة والسلام دفاعًا طيبًا باعتباره مفكرًا سياسيًا عميق الفكر.

ومن مدرسة فولتير يأتي بعده بقليل الروائي الفرنسي
"أنوريه دوبلزاك H. de Balzac" الذي أعتبر نبيينا صلى الله عليه وسلم (أفاقا)، والقرآن الكريم إعادة كتابة للتوراة والإنجيل، وأن الله سبحانه لم تكن لديه أية نية في أن يجعل من هذا الحادي (سائق الجمال) نبيًا له.

إن الذي يبدو لنا أن الإسلام وحده كدين كان مستهدفًا في ذلك القرن من مفكري أوربا وكتابها، والواقع أن القرن الثامن عشر قد أخرج للناس مدرسة الشك المطلق في مقررات العلم القديم ووقائع التاريخ المتواتر، فشك الكتاب في وجود الأنبياء والمرسلين، وكاد الشك يتناول كل نبي وكل صاحب دين غير محمد عليه السلام ! شكوا في بوذا كما شكوا في إبراهيم وموسى وعيسى. وسرى الشك إلى الأدب كما سرى إلى الدين (١٣).

وليس أدل على ذلك من نقد الربوبيين(١٤) للمسيحية والذي سبق الحملة الفولتيرية في فرنسا بنصف قرن، ومن شاء فعليه مطالعة قصة الحضارة "عصر فولتير" لـ "ول ديورانت"،ولعلنا في مقدمة الفصل القادم سنسوق قبسًا ليس من نور من ذلك الهجوم الضاري على المسيحية والمسيح معًا.

مع مطلع الربع الأول من القرن العشرين في عام ١٩٢٥ تحديدًا ظهرت أول الرسوم المسيئة لرسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم والذى أعتقده أنها بغير قصد إذ نشرت صحيفة بريطانية ذائعة صورة كارتونية توضح كابتن فريق الكريكت الإنجليزي "جاك هوبز"، وحوله أشهر الشخصيات التاريخية في العالم إحتفالا به، وكان الرسول صلى الله

عليه وسلم من بين تلك الشخصيات. وثار المسلمون في الهنـد آنـذاك مما حـدا بالحكومـة الهندية أن أصدرت قرارات احتجاجا على تلك الصورة .

كما شهد القرن المنصرم وبواكير القرن الحالي الكثير مـن المطبـوعات الـتي طعنـت في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، كان من أبرزهـا روايـة "آيـات شـيطانية" للهنـدي المرتد سلمان رشدي، والتي طبعهـا ونشرهـا في لنـدن، لتشـتد الهجمـات والضربـات بعـد أحداث الحادي عشر من سبتمبر٢٠٠١الشهيرة والخاصة بالإعتداء على برجي نيويورك، وهيّ الموجة الجديدة من تلك الموجات المنظمة في سلسلة الإساءات إلى شخصية الرسـول صـلى الله عليه وسلم ، ليشهد العالم تصاعدًا غير مسبوق في الكتابات التي تطعـن في شخصـه الكريم، نتيجة لشعور الغرب و أمريكا بالحزن والغضب والصدمة.

ومن أشهر الكتب التي صدرت في هذه الفترة كتاب بعنوان:"نبي الخـراب" لمؤلفـه "كريـك ونن"، الذي وصف الرسول صلى الله عليـه وسـلم بأنـه قـاطع طريقـا اسـتعمل البطـش و الإغتيالات والخداع للوصول إلى السلطة المطلقة.

كما وزعـت مجلـة "هيـومن إيفنـتس" الأمريكيـة الأسـبوعية، مـن كتـاب للكاتـب الأمريكي الأصولي "روبرت سبنسر" اسمه: "الحقيقـة حـول محمـد، مؤسـس أكـثر ديانة غير متسامحة في العالم"، يسيء فيه للرسول محمد صلى الله عليه وسلم ويتهمه بحث المسلمين على قتل اليهود، وبخيانة صلح الحديبية، وخلق اضـطرابات في العـالم حتى الآن. وبرغم عدم نجاح الكتاب عند طرحه في الأسواق فقد أثـار الغضـب بـين مسـلمي أمريكـا ضـد سبنسر الذي دأب في عـدة كتـب له على انتقـاد الأصـول الإسلامية واتهام الإسلام بالإرهاب. بينما تروج الجريدة للكتاب: "إن كتاب سبنسر يكشف حقائق لم يكتشفها كتاب التاريخ أو مؤلفي السيرة الذاتية لمحمد".

وقد تجاهلت الجريدة انتقادات عددًا من الأكاديميين وخبراء في الدراسات الإسلامية للكتاب، حيث قالت المؤلفة البريطانية "كارن أرمسترونج" صاحبة كتاب "محمد صلى الله عليه وسلم" :(إن هذا الكتاب مخطوط بالكراهية، و به أخطاء كبيرة وتجاهل للأدلة. وما كان من المجلة أن نشرت في بيانها الترويجي ادعاءات تقول إن النبي محمد صلى الله عليه وسلم قد قال : "نصرت بالإرهاب" وتم استخدام كلمة "تيروريزم" بالإنكليزية التي تعني في المعنى المتداول" الإرهاب"، ويقول البيان : "إن الكتاب يشرح كيف استخدم محمد جاذبية الجنة الإسلامية من أجل حث محاربيه على الحرب بشراسة من أجل أن يمد حكمه".

الغريب أن الكاتب الأصولي "روبرت سبنسر" قد اتهمته منظمات إسلامية وعربية بتحريف كلام ونصوص القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو الذي يتهم كُتّاب التاريخ على الإطلاق بما فيهم كتّاب التاريخ من الغربيين، بأنهم يقدمون صورة غير حقيقية ومنقحة لسيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، بل ويمعن الكاذب لا الكاتب في كذبه فيقول:(إن الرسول محمد كان يوصي أصحابه بجعل النساء أسيرات لديهم لا يملكون من أمر أنفسهن شيئا).

بل تبنت المجلة نفسها الترويج ـ في إصرارٍ عجيب ـ لفيلم وثائقي به إدعاءات غير موثقة ضد الدين الإسلامي والقرآن الكريم، ولأن أهل الكفر ملة واحدة فلم تكتف المجلة بالترويج بنفسها بل استدعت الكاتبة الأمريكية الرائجة "آن كولتر" للترويج أيضًا لهذا الكتاب الفاشل، وقامت بدورها خير قيام، وهي التي كتبت ما نصه: (أن علينا مهاجمة دولهم وقتل قادتهم وتحويلهم إلى المسيحية، إننا لم نتردد في ملاحقة هتلر وكبار مساعديه، وقد قصفنا المدن الألمانية ودمرناها وقتلنا مدنيين، كنا يومها في حرب ونحن

الآن في حرب).

أما الأقوال فقد باحت بها الأفواه الحاقدة أمثال وزير العدل الأمريكي ـ آنذاك ـ "جون أشكروفت"، إذ يقول: (إن المسيحية دين أرسل الرب فيه ابنه ليموت من أجل الناس، أما الإسلام فهو دين يطلب الله فيه من الشخص إرسال ابنه ليموت من أجل هذا الإله).

ليشارك في سيمفونية البذاءات نائب وزير الدفاع الأسبق رامسفيلد الجنرال الأمريكي "وليام م . ج. بويكن" ، فيقول:(إن إلهنا أكبر من إلههم، إن إلهنا إله حقيقي، وإله المسلمين صنم، وإنهم يكرهون الولايات المتحدة الأمريكية، لأنها أمة مسيحية يهودية ، وحربنا معهم هي حرب على الشيطان، وإن الإسلام دين شيطاني وشرير، ومحمد هو الشيطان نفسه!).

وكذلك القس الأمريكي "بات روبرتسون"ـ رئيس التحالف المسيحي الأمريكي والمعروف بعداوته للإسلام، ومناصرته للدولة العبرية: (إن الإسلام هو دين الإرهاب، دعا إلى العنف... وإن أمريكا بحاجة إلى إنذار ضد خطر المسلمين الذين يكرهون أمريكا ويحاولون تدمير إسرائيل). وفي حوار تلفزيوني معه ، صرح قائلاً: (أنا أقول هذا القرآن ما هو إلاّ سرقة من المعتقدات اليهودية ثم استدار محمد بعد ذلك ليقتل اليهود والنصارى في المدينة. أنا أقصد، أن هذا الرجل كان قاتلاً سفاك دماء، وأظن أن الإرهاب قد غدا تيارًا وليس فقط عند حفنة من المتطرفين. إذا اشتريت مصحفا اقرؤه بنفسك فستجد عنفًا يبشر به) (١٥) . وقد أجبر هذا الرجل على الاعتذار عن قوله هذا، ولكنه عاد ليقول(١٦): (الإسلام أسس بواسطة مجرد فرد بشري مقاتل يسمى محمدًا، وفي تعاليمه ترى تكتيك نشر الإسلام من خلال التوسع

العسكري، ومن خلال العنف إذا كان ضروريًا)، وأضاف: (الإسلام بخلاف المسيحية في تعاليمه الأساسية تعصب عميق ضد أصحاب الديانات الأخرى)، كما قال عن النبي صلى الله عليه وسلم:(إنه كان يدعو قومه إلى قتل المشركين ..وإنه رجل متعصب إلى أقصى درجة، إنه كان لصًا وقاطع طريق ما يدعو إليه خديعة وحيلة.٨٠٪ من القرآن نقل من نصوص النصرانية واليهودية).

وقد أضاف تقرير" كير" أن هذا القس اليميني المتطرف روبرتسون سبق له الإساءة للإسلام بوصف " دين تجار العبيد"، ووصف الأمريكيين الذين يعتنقون الإسلام بأنهم يعانون من الجنون ومن أقواله ضد المسلمين أيضًا: (لا ينبغي تعيين قضاة في الولايات المتحدة من غير المسيحيين أو اليهود، فالقاضي لابد أن يؤمن بالقيم المسيحية. المسلمون يقسمون العالم إلى دار إسلام ودار حرب ويؤمنون بالجهاد ضد أمريكا، فهل تريدون أن يصبح واحد منهم قاضيا؟).

وأضاف أحدهم يدعى أديسون: (محمد لم يستطع فهم النصرانية، ولذلك لم يكن في خياله إلا صورة مشوهة بني عليها دينه الذي جاء به العرب).

أما كبير أساقفة كانتربري السابق اللورد الإنجليزي "جورج كيري"، فيقول : (إن الثقافة الإسلامية استبدادية وتفتقر إلى المرونة، وهي لم تساهم في التاريخ، وإن الدول الإسلامية لم تقدم شيئا للثقافة عبر القرون).

وساهم المستشرق الصهيوني "برنارد لويس" بقوله:(إن النظام الأخلاقي الذي يستند إليه المسلمون مختلف عما هو في الحضارة اليهودية المسيحية [الغربية]، وإن آيات القرآن



تصدق على ممارسة العنف ضد غير المسلمين).

أما وزير الداخلية الألماني السابق "أوتو شيلي" فيصف عقيدة الإسلام بأنها:(هرطقة وضلال).

كما وصف الروائي الفرنسي "ميشيل هويلبيك" الإسلام بأنه :(دين ظهر في الصحراء، وسط الأفاعي والجمال والحيوانات المفترسة من كل نوع). أما المسلمون في تصوره فهم: (حقراء الصحراء)، أما القرآن الكريم والإسلام فرأيه فيهما: (إن قراءة القرآن مثيرة للتقزز. وإن الإسلام دين عدواني، لا متسامح، يجعل الناس أشقياء تعساء).

وتحتفظ الذاكرة بقول "بن جوريون" رئيس وزراء إسرائيل الهالك:(إن أخشى ما أخشاه أن يظهر في العالم العربي محمد جديد).

والقس الحاقد "جيري فالويل" يعلن في حديث إذاعي:(أنا أعتقد أن محمدًا كان إرهابيًا، لقد قرأت ما يكفي من المسلمين وغير المسلمين، إنه كان رجل عنف، ورجل حروب) (١٧).

لقد أساؤوا الأدب في الكلام عن شيءٍ نبيل وعزيز لدينا مما لا يترك مجالاً لتبادل الحديث معهم، ويزيد الغضب والحنق عندما تجيء هذه الاتهامات و الإهانات من سياسيين في الغرب لا يعرف عنهم الكثير من التحضر إلا في أتفه الشكليات، فلا يعرف عنهم سمو الأخلاق في معاملتهم لغيرهم من الشعوب (١٨).

ومن باب رمتني بدائها وانسلت، افترى القس "جيري فاينز"- الرئيس السابق للمؤتمر



السنوي للكنيسة المعمدانية الجنوبية ـ على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، فقال: (شاذ يميل للأطفال ويتملكه الشيطان، تزوج من اثنتي عَشْرةَ زوجة آخرهم طفلة عمرها تسع سنوات!)، وأضاف:(إن الله الذي يؤمن به المسلمون ليس هو الرب الذي يؤمن به المسيحيون . فلن يقوم الرب بتحويلك إلى إرهابي يحاول تفجير الناس وأخذ أرواح آلاف مؤلفة من البشر).

المؤسف أن قادة الكنيسة المعمدانية الجنوبية أعلنوا تأييدهم لتصريحات فاينز في سبه للرسول صلى الله عليه وسلم، بينما كان رئيس مؤتمر الأساقفة الكاثوليك الأميركيين الأسقف "بيلفيل ويلتون غريغوري" يعلن: (لقد اعتمدنا اليوم وثيقة مهمة في تاريخ مؤتمرنا الأسقفي، و كل من يعرف عنه ـ من القساوسة ـ أنه تعاطي الدعارة مع طفل يُمنع من العمل في كنيسة الولايات المتحدة الكاثوليكية).

بينما قامت اللجنة المختصة المكلفة بصياغة الميثاق بتشديد مشروع البيان واعتمدت صيغة "عدم التسامح" مع أي كاهن تثبت إدانته بالاستغلال الجنسي ليطرد من الكنيسة ويعاد إلى الحياة العلمانية بعدما كان النص يدور حول "إمكانية أن يبقى في سلك الكهنوت أي كاهن مارس الاستغلال الجنسي في الماضي لكنه لم يذنب إلا مرة واحدة، أو أن يبقى إذا تلقى علاجا مناسبًا".

وكانت صحيفة "دالاس مورنينغ نيوز" قد ذكرت أن ثلثي الأساقفة الأميركيين (١١١) في ١٧٨ أبرشية قد قاموا على مدى سنوات بالتغطية على تصرفات الكهنة الذين يستغلون الأطفال جنسيًا واكتفوا بنقلهم من أبرشية إلى أخرى أو إخضاعهم لعلاج نفسي. ورغم هذا فقد أثار هذا التعديل أيضا غضب الضحايا الذين طالبوا بعقوبات تأديبية بحق أولئك الأساقفة. وقال "بيتر ايسلي" المسؤول عن شبكة الناجين من الاستغلال الجنسي الذي يقوم به الكهنة:

(إنه أمر فاضح أخلاقيًا بكل بساطة). وقال آخ: (لم يجدوا بعد انصرافنا عنهم سوى مهاجمة الإسلام عسى أن يعودوا للأضواء من جديد).

إن هؤلاء القساوسة والأساقفة الشواذ الذين تجرأوا فاتهموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما فيهم، هم أنفسهم من أجبروا البابا بنديكتوس السادس عشر على أن يقول أنه: (يشعر بالعار بشدة من ممارسات بعض القساوسة في الولايات المتحدة). وتعهد أثناء عودته إلى الولايات المتحدة بالعمل على منع الذين يعتدون على الأطفال جنسيًا من أن يصبحوا قساوسة. وكانت الكنيسة الكاثوليكية الأمريكية قد شهدت خلال السنوات الأخيرة موجة من الاتهامات ضد عدد من القساوسة الذين استغلوا الأطفال جنسيًا ودفعوا حوالي مليار دولار في قضايا تعويضات. كما أفاد تقرير بأن قساوسة الكنيسة الكاثوليكية في الولايات المتحدة اتهموا بارتكاب أكثر من إحدى عشر ألف إساءة جنسية منذ عام١٩٥٠. بل أكدت أبرشية أمريكية أن نحو ٤٤٤٠(أربعة آلاف وأربعمائةٍ وأربعون) قسيسًا اتهموا بالإساءة الجنسية أي حوالي ٤٪ من إجمالي القساوسة الذين ينتمون لهذه الأبرشية، بينما قال ممثل ضحايا الإساءة الجنسية:(أن الرقم النهائي لعدد الحالات التي تعرضت لإساءة جنسية من قبل قساوسة سيكون أكبر بكثير).

وعلى نفس النسق القذر عندما يُتهم الأطهار الأبرار من قِبل الزناة واللوطيين اتهم القمص المشلوح زكريا بطرس في برنامجه:"في الصميم" الذي يقدمه و تذيعه قناة الحياة المسيحية، الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه ابن زنا ،وذلك في الحلقة المعنونة: "النبي محمد ابن زنا بشهادة علماء الإسلام" زاعماً أن افتراءاته هذه مستقاة من مراجع وكتب لعلماء مسلمين، والقرآن الكريم ، والكتاب المقدس.مما دعا العديد من المصريين لرفع دعاوى ضده.

قال الدكتور زغلول النجار عن ذلك الذي يتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ويكفي أن هناك شيطان مصري خرج من مصر إلى قبرص وباع نفسه للمخابرات الإسرائيلية والأمريكية اسمه زكريا بطرس، وهو رجل أُشْتُهِرَ عنه سوء الأخلاق؛ فهو متهم بالزنا واللواط وفصل من الكنيسة أكثر من مرة، قام بفتح قناة تليفزيونية في قبرص وله أربع سنوات أو أكثر يقوم بالتطاول على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويتطاول بالسب على أمهات المؤمنين وعلى آل البيت وعلى الصحابة وعلى كبار رموز الإسلام قديمًا وحديثًا(١٩).

أما جلال محمد القصاص فيقول عنه (٢٠): (قس نصراني يتأرجح بين الأرثوذكسية والبروتستانتية، أشعل الفتنة في كل مكان ذهب إليه، وأبناؤه مثله يثيرون القلاقل في أستراليا ضد الكنيسة القبطية إلى اليوم) .

ومن الأرشيف التاريخي الوطني الإسباني (٢١) أضع بين أيديكم شهادات دونتها محاضر محاكم التفتيش الإسبانية في القرن السادس عشر عن حالات توبع فيها مورسكيون بتهمة إخفاء الإسلام. فالمورسكيون هم أولئك المسلمون الذين عاشوا في أسبانيا في ظل الحكم المسيحي بعد سقوط دولة الإسلام بالأندلس سنة ١٤٩٢م وأُجبروا على التنصر وتغيير أسمائهم وأزيائهم وعاداتهم الإسلامية. ولمراقبتهم أسس النصارى تلك المحاكم: يذكر الدكتور الفرنسي "لويس كاردياك" (٢٢): (في كثير من الأحيان، كان الموريسك لا يتحملون من يسب أو يشتم الرسول. من ذلك أن أحد الموريسك عندما وصل ليقتني خمرًا من الحانة قد استُقبل عند مدخل الحانة بهذه الألفاظ :"لتحرق النار الخالدة محمدًا"، غير أنه لم يتماسك عن الرد: (إن محمدًا يعد رجلاً خيِّرًا و طيبًا) (٢٣). وفي نفس الكتاب يذكر

كاردياك أن: (اسم محمد يظهر دومًا على لسان المسيحيين عندما يحلفون، وفي أحد الأيام بطليطلة كان مسيحيان في نقاش كبير عندها فقال أحدهما: (إني أحلف باسم الله)، وقد أخذ عليه رفيقه أن يستعمل مثل هذه العبارات قائلاً له : (احلف باسم من لا تؤمن به) فرد عليه المسيحي قائلاً :(إني أحلف باسم محمد الـــ ... .)، إلا أن أحد الموريسك كان حاضرًا هذه المجادلة، وسرعان ما استولى على هراوة وكله يرتجف وقد هدد الشاتم قائلاً له:(ماذا فعل لك محمد)، وبالطبع فإن المورسكي هو الذي سيدفع الثمن بسوقه إلى دواوين التحقيق نتيجة شكاية المسيحي(٢٤) .

لقد طار فرحًا أحد رجال الكنيسة في الشرق والمقيم بالغرب ـ والذي دائمًا ما يكتب مقالاته باسم مستعار ـ عندما ظهرت الرسوم الدنماركية المسيئة لمن رسمها قبل أن تسيء لرسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم فقال وهو في قمة نشوته شامتًا شانئًا: (إنها ليست رسومًا مسيئة بل هي رسوم توضيحية). بل إنه أعد رسومًا مسيئة للنبي صلى الله عليه وسلم ونشرها على موقع خاص ينشر فيه بذاءاته، تناصره شرذمة مهجريون مهجورون، كما أعلن أنه يستعد لعمل السيرة المحمدية الطاهرة بصورة هزلية وكاريكاتورية وبعده القرآن الكريم، ولم نحمل كلامه على محمل الجد، وها قد مرت السنوات حتى ظهر الفيلم المنتظر"براءة الإسلام".

ومادام قد أقدم على فعل ما فعل، فأرجو أن يستجمع حكمته وشجاعته عندما يقرأ عن الرسوم والصور المسيئة لمن رسمها أيضًا للسيد المسيح عليه السلام ويحكم هل هي رسوم مسيئة أم توضيحية. وهذا ليس من باب الشماتة والتشفي لأنه يعلم قبل غيره موقع نبي الله عيسى وأمه البتول السيدة العذراء مريم من المسلمين، وكان أولى به أن يدافع عن شخص من يعظمه، لا أن ينتهج نفس أسلوب المسيء، وأن يتأسى بتعاليم الـــــرب

ودين المحبة!

هذا ما أريده تمامًا، أن أقول للذين يؤمنون بالمسيح، وللذين يؤمنون بمحمد: برهان إيمانكم إن كنتم صادقين، أن تهبوا اليوم جميعًا لحماية الإنسان، وحماية الحياة (٢٥).

هوامش الفصل الأول

(١) جوامع السيرة لابن حزم ٥١ـ٥٢.

(٢) وليم بولك: الولايات المتحدة والعالم الغربي - والقومية والغزو الفكر ص ٤٢.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، الجزء الخامس.

(٤) أنظر: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى ص٥٢، كتاب الأمة ط٢ صفر ١٤٠٤ هـ.

(٥) باحث مرموق، يعمل حاليا أستاذا في قسم دراسات الشرق الأوسط بجامعة نيويورك، وينتمي إلى تيار من الباحثين الأميركيين اليساريين الذين لعبوا دورا مهما في تطوير دراسات الشرق الأوسط، انطلاقا من موقف إنساني مكافح ضد تيار استشراقي ينتقص من العرب والمسلمين، وذلك على الرغم من أنه يهودي اسمه التوراتي زكريا لقمان.

(٦) تاريخ الاستشرق وسياسات زكاري لوكمان ترجمة شريف يونس محيط .أسك زاد.

(٧) أستاذ التاريخ الإسلامي بمعهد الدراسات المتقدمة في برنستون.

(٨) موقع أوبن ديموكراسي ١٠ يونيو ٢٠٠٨، ترجمة راشدة رجب.

(٩)تيودور أبو قرة أسقف حران الذي كان يجادل المسلمين في حضور خليفة المسلمين آنذاك الخليفة المأمون.

(١٠) مارتن لوثرLuther (١٤٨٣ـ١٥٤٦) مؤسس حركة الإصلاح الدينى البروتستانتية.

(١١) المصلح مارتن لوثر حياته وتعاليمه صـ ١٧٦، دار الثقافة المسيحية ، القاهرة ١٩٧٧.

(١٢) عبقرية المسيح صـ ٧٢،كتاب اليوم العدد ٢٦٤ـ يناير١٩٨٧.

(١٣)المصدر السابق صـ ٦٧.

(١٤)الربوبية : الاعتقاد بوجود إله غير مشخص هو العلة الأولى للكون ، فهو الذى خلق الكون ثم دفعه ليعمل بقوانينه الذاتية الطبيعية دون تدخل منه في حركة الكون وشؤون الحياة .

(١٥)برنامج هانتي وكولمز Hannity & Colmes الذي بث في قناة فوكس الإخبارية Fox News.

(١٦) كتاب من تأليفه باسم: الاسم (The Name) ص٧١ .

(١٧) حديث له بث يوم الأحد بتاريخ ٦/أكتوبر/٢٠٠٢ / برنامج ٦٠ دقيقة.

(١٨) دكتور جلال أمين، عصر التشهير بالعرب والمسلمين. مكتبة الأسرة/دار الشروق٢٠٠٤القاهرة.

(١٩)حوار مع أحمد سعد ـ جريدة الوسط ١٣ أغسطس ٢٠٠٨.

(٢٠) الكذاب اللئيم زكريا بطرس ط٢ص ٢٩.

(٢١) ملف ١٩٣ ص ١٦.

(٢٢)الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون: المجابهة الجدلية. ترجمة الدكتور عبد الجليل



التميمي.

(٢٣) من أرشيف محاكم التفتيش بكوينكا. ملف٢٥٥، الصفحة٣٤٥٥ .

(٢٤)من الأرشيف التاريخي الوطني الإسباني، ملف١٩٣، الصفحة١٧.

(٢٥)خالد محمد خالد : كتاب معًا على الطريق محمد والمسيح . كتاب اليوم، عدد ٣٢٩، ١٩٨٩ القاهرة .

الفصل الثاني: الصور والرسوم المسيئة للمسيح عليه السلام

انفجرت موجات عنف غاضبة وثارت أعاصير شغب صاخب من المتشددين المسيحيين ضد صورة بالحجم الكبير تمثل شخص المسيح عليه السلام بالشاذ جنسيًا في معرض للفنون بدولة السويد. جاءت تلك الصورة المسيئة مع مجموعة صور أخرى فاضحة ضمن كتاب مصور ، من ضمنها صورة تجعل المسيح أيضًا في جنس أنثى عارية تمامًا على الصليب، بينما أظهرته بقية الصورفي أوضاع جنسية مختلفة؛ فمرة هو شاذ جنسيًا مع ذكر يقف خلفه في وضعٍ شائن ، ومرة أخرى وهو يقف في وسط مجموعة من النساء العاريات في حفلة دعارة جماعية، وصورة تظهره أنثى مهووسة بالسحاق [والعياذ بالله من تصاويريهم كلها]. من جانبها حاولت مجموعة من المتطرفين المسيحيين إشعال النار في الصور

بالمعرض الفني، بمدينة تعد أحد معاقل الطائفة الانجيلية الكبرى في السويد، إلا أن جمهورًا من ثلاثين شخصًا من العلمانيين حاولوا منعهم فقام المتشددون بالتعدي عليهم بالضرب.

كما أقيم معرض فني آخر في نيويورك عرض تمثالاً يصور آدم عليه السلام وحواء عاريين في عملية جنسية كاملة، ولوحة لفنان مسيحى آخر تصور يسوع وهو يقبِّل بشهوة أحد آلهة الهندوس من الإناث على فمها. يبقى أن أذكر أن من أشرف على إعداد هذا الكتاب المصور الفاضح سحاقية مسيحية تعتز بصليبها تدعى "كيتريدج تشيري Kittredge Cherry" وهي تحمل درجة لاهوتية رفيعة حيث تعمل في خدمة الكنيسة والتنصير منذ سنوات، وعضو مجلس الكنائس الامريكية "National Council of Churches"، وهي كذلك تشغل منصبًا هامًا في مجلس الكنائس العالمي World Council of Churches"، وتشرف كذلك على موقع الكتروني ضخم ترعاه عدد من الكنائس الداعمة لتوجهها حيث خصص لاستيعاب الشاذين جنسيًا، والسحاقيات ،والمخنثين[الجنس الثالث]، تحت عنوان:"يسوع في حالة حب Jesus in Love" (١).

ولقد زرتُ هذا الموقع للتأكد مما قرأت وقد هالني ما وجدت، فمنذ صفحة الغلاف وحتى عرض الصور أو تلك اللوحات يصيبك نوعٌ من الغثيان والقرف والإشمئزاز من أناس يعملون في إلهم ـ كما يزعمون ـ مثل هذه الأفاعيل تحت مايسمى بحرية الإبداع أولاً ثم حرية التعبير.

والأدهى والأمرّ أن دفاع ويلكس عن نفسه كان مقبولاً من وجهة نظر الذين ينادون بحرية التعبير اللآن، فبالرغم من أنه لم يجاهر بتلك الصور خارج بيته ولم يسع لنشرها، بل ضبطتها الحكومة على إثر وشاية من راعي كنيسة سيء السمعة هدد المطبعجي ورشاه وضغط عليه حتى اعترف، إلا أن ويلكس قال باستخفاف ودهشة: (أن من حق الحكومة

معاقبة الزراية بالمقدسات ولكن من حق الفرد أن يعبر عن زرايته بهذه المقدسات في خلوته فهو حر في السخرية مما يشاء).

وبالرغم من أن هذه السخرية كانت بيتية فردية لم تنشر، ومع هذا فقد أصر مجلس اللوردات على إتهامه باستخدام البذاءة في إهانة المسيح والله . فهرب ويلكس لما علم باتجاهات المحكمة، فقامت الحكومة البريطانية عام ١٧٦٤ بمحاكمته غيابيًا أمام محكمة الملك التي قررت إدانته، بل وأهدرت دمه.

ولكن ويلكس كان قد أرسى مبدأ السخرية مما يشاء ولو كان الله نفسه، وتلك هي ركيزة حرية الإبداع والتعبير السارية في الغرب منذ أن أخذ بالعلمانية دينًا بديلاً عن الدين وأسكن المسيحية الكنائس والكاتدرائيات والأديرة، فلا تلامس حياة البشر إلا على سبيل الطقوس و الإحتفالات.

أما حرية التعبير والرأي فقد أصبحت في مفهومها الواسع هي الحرية الكاملة أحيانا في التعبير عن الأفكار والآراء عن طريق الكلام أو الكتابة أو عمل فني بدون رقابة أو قيود حكومية بشرط أن لا يمثل طريقة ومضمون الأفكار أو الآراء ما يمكن اعتباره خرقًا لقوانين وأعراف الدولة أو المجموعة التي سمحت بحرية التعبير، ويصاحب حرية الرأي والتعبير على الأغلب بعض أنواع للحقوق والحدود مثل حق حرية العبادة وحرية الصحافة وحرية التظاهرات السلمية.

وعندما قلت أن هذه الرسوم لن تكون الأخيرة ، سواء تلك التى جاءت من ويلكس ومروراً بالموقع المشار إليه كنت أعنيها فقد كانت هناك لوحة قام الفنان الأمريكي من أصول كوبية وأفريقية "اندريس سيررانو Andres Serrano" برسم

لوحته المسماة "البول على المسيح" "Piss Christ". أحدثت هذه اللوحة جدلاً كبيرًا واجتمع بسببها مجلس الشيوخ الأمريكى ١٩٨٧ ودار النقاش المعتاد بين حرية الفنان في التعبير والإساءة لرموز الدين، وكان هناك معارضين اعتبروا تلك اللوحة إهانة شخصية للمسيح .

بل يقول محمود سلطان : في عام ١٩٦٠ صدرت رواية لليوناني "نيكوس كازانتزاكس" بعنوان مسيء للمسيح عليه السلام: "آخر وسوسة للمسيح"، ثم تحولت بعد ثمانية وعشرين عاما ـ أي عام ١٩٨٨ ـ إلى فيلم سينمائي. وكذلك نحت الفنان "كوزيمو كافالارو تمثالا للمسيح من الشيكولاتة أسماه "إلهي الحلو" ، عرض في صالة لعرض الأعمال الفنية بحي "مانهاتن" بنيويورك في مارس عام ٢٠٠٧ (٣).

وعلى أرض الدانمارك ـ أرض الإساءات ـ أقيم معرضًا تحت عنوان: "الإباحية أو عالم الإثارة" شارك فيه ما يزيد على المائتي ألف مصور ارتدى بعضهم ملابس مشابهة ومماثلة تمامًا للملابس التي كان يرتديها السيد المسيح في زمانه لكن بطريقة مثيرة وفيها كثير من الإباحية، واشترك فيه كذلك عددًا من أشهر نجوم ونجمات أفلام البورنو في العالم، والمؤسف أن هذا المعرض[القذر] تواكب موعده مع يوم الجمعة الحزينة حسب التقويم الغربي وهو اليوم الذي يقدسه ويحترم ذكراه كل المسيحيين في العالم. أساقفة الدانمارك عبروا عن استيائهم الشديد مما جرى وأكدوا أن اختيار هذا اليوم كان مقصودًا بعينه لإقامة هذا المعرض وذلك زيادة في الاستهزاء وإمعانًا في السخرية وعدم مراعاة الشعور المسيحي لذكرى اليوم المقدس. وليس خفيًا على أحد أن يوم الإباحية موجود أيضا في برلين بألمانيا وتاريخه معروف ومحدد في كل أوروبا.

وقد شهدت الدنمارك قبل سنوات قليلة قضية مشابهة للإساءة للسيد المسيح حيث قامت



بعض مصانع الأحذية وعلى الأخص "الصنادل" بطبع صورة أو وشم عليها يعتقد أنها أو إنه صورة السيد المسيح عليه السلام مما أثار حفيظة واحتجاج المواطنين المتدينين الذي أدي غضبهم إلى سحبه من الأسواق .

وقد نشرت صحيفة " تايمز" اللندنية تقريرا في موضوع الإساءة إلى الديانات وردود الفعل التي أثارتها، نجتزىء منه ما نحن بصدده:

ـ تجمع الجمهور محتجا أمام مسرح برودواي في نيويورك، عندما كانت تعرض مسرحية عن المسيح ويهودا على المسرح لأول مرة، إذ اعتبر المسيحيون أن تصوير المسيح على أنه رجل وليس إلهًا يعد إهانة، كما أن إغفال ذكر قيامة المسيح في المسرحية كان نقطة أخرى للخلاف والجدل، كما اعتبرت بعض الجماعات اليهودية أن المسرحية معاداة للسامية في تصويرها لليهود وهم مجتمعون مطالبون بموت المسيح .

ـ التصوير الروائي لشخصية الأب نيقولا، الذي يعيش في مدينة البابا "مدينة الفاتيكان"، ويعمل كمحرك لشخصية البابا الكرتونية؛ إذ ظهر كبير الأساقفة كشخصية غبية جدًا، وقد تم حذف تلك الحلقات المسلسلة التي أنتجتها هيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي)، من جدول العرض على التليفزيون البريطاني، خشية أن تعد إهانة للكاثوليك في روما. وفي ألمانيا قامت حملة شرسة ضد هذه الحلقات .

ــ أما الصور التي كانت تصور المسيح وهو يأكل مع اللوطيين، ومع من يغيرون جنسهم في معرض في السويد، فأثارت موجة من الاستغراب في أوروبا وجعلت تلك الصور البابا السابق، يوحنا بول الثاني، يلغي اجتماعا مع رئيس الأساقفة الإصلاحي السويدي، كارل غوستاف هامر، الذي كان يساند هذا المعرض .

ــ أدى غلاف الألبوم الذي كان يصور مريم أم المسيح، وهي تحمل فأرًا في



المهد، ومكتوب تحته "مهنة الغانية"، وهي عبارة من اللغة السلوفانية، والتي كانوا يطلقونها على تعاليم الكاثوليك بشأن عملية الإجهاض، أدى هذا الغلاف إلى حدوث ثورة عارمة، إذ تجمع حوالي أربعة آلاف معارض أمام مكتب النائب العام، وقدموا أكثر من ألف اتهام ضد الألبوم. ورفضت المحكمة هذا الألبوم، قائلة أنه يخلو من الذوق، إلا أنها لم تحدد ما هو المسموح به، وما هو غير المسوح به .

ـ صورت أوبرا بريطانية شخصية المسيح، وهو يرتدي ثياب طفل رضيع، وقد اتسخت ملابسه. وعندما عرضت الأوبرا على التليفزيون البريطاني، اعترض المسيحيون، وأقدموا على إحراق رخص عمل تليفزيون البي بي سي، أمام مركز هذا التليفزيون نفسه، بينما كانت هناك مظاهرات أخرى متفرقة في أماكن أخرى، ولكنها غير شرسة .

ـ أما الفيلم الذي مدته ساعة، والذي أعده "مونتي بايثون" عن "حياة بريان"، فهو تصوير كوميدي لشخصية "بريان كوهين"، الذي أحرق خطأ على أنه هو السيد المسيح،ولكون هذا الفيلم يتهكم ويسخر من التدين، فقد منع من العرض في العديد من المدن في المملكة المتحدة، لما يحتويه من سب للدين، ورفعت دعوى قضائية ضد مشهد الصلب في الفيلم، الذي يصور أولئك الذين جرى إعدامهم وهم يغنون أغنية على الموسيقى بعنوان: "انظر دائما إلى الجانب المشرق من الحياة". وفي نيويورك، فتشت الراهبات والحاخامات عن دور السينما، حيث كان محظورًا عرض الفيلم نهائيا في بعض الولايات. أما في إيرلندا، فلم يعرض الفيلم إلا بعد ثماني سنوات من إعداده، وعرض في إيطاليا بعد أحد عشر عامًا. وبعدها تم عرضه في كنيسة في نيوكاسل، حيث أثار ضجة لدى جماعة الصوت المسيحي المحافظة .

ـ أما في ألمانيا، حكم على "مانفريد فان" بالسجن لمدة عام، لأنه أرسل ورق نظافة يستعمل في المرحاض، مكتوب عليه آيات قرآنية، إلى مساجد ووسائل إعلام. واجه "فان" تهمة الإساءة إلى معتقدات دينية بطريقة تهدد الأمن العام.



ــ أما صورة السيد المسيح المعلق على الصليب وهو يتدلى متبولا في جرة، ففازت بجائزة مركز الجنوب الشرقي للفن المعاصر، عام ١٩٨٩، وهي جائزة تشارك في رعايتها وكالة المنح الوطنية للفن، وهي وكالة حكومية في الولايات المتحدة الأميركية. وثار الجدل حول تلك الصورة في مجلس الشيوخ الأميركي.

ــ كما جاءت مسرحية "المسيح المثلي" لكي تتمم منظومة الإساءة وقد عرضت على مسرح نيويورك، ورفض مدير المسرح آنذاك حذف أي من مشاهدها، تلاها عرض مسرحية "كوربو كريستي" في لندن، والتي أدت بإحدى الجماعات الإسلامية هناك إلى استصدار فتوى بإهدار دم "ماك نالي" مؤلف العمل، كما كان هناك عرض "جيري سبرينجر" الغنائي، الذي لعب على الفكرة نفسها وعرض على العديد من مسارح لندن وبثته قناة الــ "بي. بي. سي٢"، لا يخلو الأمر من التشكيك في عذرية السيدة مريم العذراء من وقت لآخر مثلما حدث في حلقة أذاعتها "قناة البي بي سي١"عام ٢٠٠٢ شككت خلالها في معجزة ولادة المسيح ووضعت من خلال فيلم أذاعته وتناقش الضيوف حوله عدة افتراضات أخرى لكيفية حمل السيدة العذراء التي كانت تعامل ابنها المسيح بعدم احترام. كما أذاعت القناة الرابعة بنيوزيلاندا حلقة كارتونية ساخرة، إنتاج أمريكي بعنوان "بلودي ماري" أو "مريم الملطخة بالدماء"، والتي سخرت فيها من معجزات الشفاء التي يقول بابا الفاتيكان إن العذراء تصنعها من خلال مشاهد وألفاظ صنفت على أنها للكبار فقط، مما أثار غضب المطارنة الكاثوليك الذين طالبوا نصف المليون كاثوليكي الذين يعيشون في نيوزيلاندا بمقاطعة القناة الرابعة وأختها قناة "تي في٣" التي عرضت هذه الحلقة في الوقت الذي قدمت فيه اعتذارًا لعرضها الرسوم الدنماركية المسيئة لرسول الإسلام (٤).

وعلى نفس النهج الحرفي للإساءة أعدت شركة "سوني" اليابانية العملاقة لعبة عن إطلاق النار، وجعلتها تدور في كاتدرائية مانشستر، ببريطانيا، من دون تصريح من رئيس



الكاتدرائية، وهددت الكاتدرائية بمقاضاة الشركة من أجل انتهاكها حق الملكية الفكرية الخاص بالكاتدرائية. وقال رئيس الوزراء آنذاك، توني بلير، في البرلمان: (إن المؤسسات الكبيرة مثل "سوني"، يجب أن تكون أكثر حساسية وأكثر مسؤولية تجاه المجتمع في مثل تلك الأمور). وظهر الجدل من جديد، عندما اختيرت اللعبة للحصول على جائزة، وطلب من الكنيسة أن تنال شرف سحب قرعة الجائزة.

ولقد أثار برنامج تلفزيوني ترفيهي إسرائيلي موجة غضب واستياء واسعة في أراضي ٤٨ لتطاوله على السيد المسيح عيسى وتهكمه بمريم العذراء عليهما السلام. ودعا مقدم البرنامج الفكاهي "الليلة" في القناة العاشرة "ليؤور شلاين" لعدم تصديق الكنيسة وطعن بطهارة مريم العذراء، وقال: (إن اعتقاد المسيحية بكون مريم بتولا ادعاء خاطيء بل وكاذب)، مضيفًا: (أنها حملت وهي في الخامسة عشرة من عمرها من أحد زملائها على مقاعد الدراسة). كما طعن صاحب البرنامج في معتقدات المسيحية ومعجزات المسيح، وأضاف: (تعتقد المسيحية أن المسيح يمشي على مياه طبرية وهذا خطأ فادح فقد كان سمينًا جدًا ولم يستطع فعل ذلك، ولو لم يكن يعاني من السمنة المفرطة لعاش حتى جيل الأربعين)(٥) .

ولم يقتصر الأمر على رسل الله محمد وعيسى عليهما السلام بل واصل قطارالإساءة تقدمه حتى طال نبي الله موسى ، فقد كتب "بيني شانون" الأستاذ الإسرائيلي في الفلسفة الإدراكية، مقالة نشرتها مجلة "تايم أند مايند" البريطانية:(أن النبي موسى والإسرائيليين كانوا على الأغلب تحت تأثير أدوية مخدرة، عندما استلم الوصايا العشر من الله). ووفقًا لشانون الأستاذ في الجامعة العبرية، فإن ثمة نبتتان طبيعيتان توجدان في شبه جزيرة سيناء، تتميزان باحتوائهما على مكونات مخدرة، شبيهة بتلك الموجودة في غابة الأمازون، والمعروفة بقدراتها على تغيير الحالة العقلية للإنسان. وقال شانون في تصريح للإذاعة الإسرائيلية: (بخصوص صعود موسى على جبل سيناء، فإما أن الأمر كان حادثة كونية

خارقة للعادة، وهذا أمر لا أؤمن به، أو أسطورة، وهذا أيضًا أمر لا أؤمن به ولكن ما أرجحه هو أن حادثةً ما جمعت موسى وشعب إسرائيل تحت تأثير المخدرات). ووصف الأستاذ الإسرائيلي الحديث في سفر الخروج عن الرعد والبرق ودوى البوق، ما هي إلا تخيلات كلاسيكية لأناس تحت تأثير المخدرات. وذهب في تفسيره لرؤيا الشجر المحروق، باعتبارها من هلوسات المخدرات .

ولم تتحمل مؤسسة الحوار الإنساني هذا السفه في تناول شخصية السيدة العذراء مريم بنت عمران وابنها السيد المسيح تحت مسمى حرية التعبير المجوجة المرفوضة، فأصدرت البيان التالي:

كثيرًا ما يتناول الإعلام الغربي شخصية سيدنا عيسى وسيدتنا مريم عليهما السلام بنوعٍ من الانتقاص والازدراء والاحتقار كاتهامهم سيدتنا مريم عليها السلام بأنها زانية أو اتهامهم سيدنا عيسى عليه السلام بأنه شاذ جنسيًا.

لقد زرنا الولايات المتحدة الأمريكية ضمن برنامج الزائر الدولي، وفي ولاية بوسطن زرنا كنيسة تسمى"كنسية الثالوث المقدس"، وكل المؤمنين هناك يقدسون المسيح ولكن يصفون أمه بالعاهرة. وهذا بالضبط ما أشار إليه المرافق الأمريكي بل وأضاف بأن بالولايات المتحدة ثلاثمائة دين والحرية مكفولة للجميع!

- مجلة نيوزويك تايم في الثمانينات وصفت السيد المسيح بأنه كان شاذ جنسيًا.
- جودار- يهودي فرنسي أنتج فيلم بعنوان:"أهلاً مريم" وصف فيه السيدة مريم ـ عياذًا بالله ـ بأنها عاهرة، وعندما احتج الكاثوليك ـ ونحن معهم ـ وتقدموا بدعوة قضائية قال جودارأمام القاضي:(أنا إنسان أنتجت فيلمًا بما يتناسب مع عقلي فكيف لامرأة أن تنجب طفلاً دون أن تنام مع رجل وإذا كان الكاثوليك يعتقدون أنه بوسع المرأة أن تنجب طفلاً دون زواج فعليهم أن ينتجوا فيلمًا ويبرزوا ذلك

لنا!، والعجيب أن يصدر القاضي حكمه ببراءة جودار بعد هذا الكلام.

- ونسي جودار ونسي القاضي أن الله قد خلق أبانا آدم عليه السلام من دون أب ومن دون أم وخلق أمنا حواء عليها السلام من دون أم وخلق سيدنا عيسى عليه السلام من دون أب وخلقنا جميعًا بأب وأم مما يدل على أن الله على كل شيء قدير وإنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون قال تعالى : ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ (٦).

وعليه كان لابد من تبيان موقع سيدنا عيسى وسيدتنا مريم عليهما السلام في القرآن الكريم من خلال بعض الآيات وليس جميعها فالبحث لا يتسع لكل ما ورد فالهدف إلقاء الضوء حول القواسم المشتركة بيننا ونختم المقدمة بما قاله أحد العلماء:(إذا كان اليهود داخلون الجنة فنحن سندخل معهم إن شاء الله لأنهم يؤمنون بموسى عليه السلام ونحن نؤمن بسيدنا موسى عليه السلام وإن كان النصارى داخلون الجنة فنحن سندخل معهم إن شاء الله لأنهم يؤمنون بعيسى عليه السلام ونحن نؤمن بسيدنا عيسى- عليه السلام ولكن السؤال هو: إذا دخل المسلمون الجنة فكيف سيدخل اليهود وكيف سيدخل النصارى؟)، ليس ذلك فقط ولكن أي مسلم بالتحديد ينتقص أو يشتم أو لا يؤمن بسيدنا موسى وسيدنا عيسى عليهما السلام أو غيرهما من الأنبياء فهو ليس بمسلم.

إن الطعن في أي نبي طعن فيهم جميعًا، ذلك أن الرسالات كلها عقد واحد نظامه الدعوة إلى الله وهداية البشر إلى أقوم الطرق، والأنبياء جميعهم أخوة في أسرة واحدة وإن كان الله فضل بعضهم على بعض، ومحمد صلى الله عليه وسلم أحد أفرادها، وإن كان أفضلهم جميعًا، فهو سيد ولد آدم كما صح في الحديث.

ومن واجب الأخ أن يوفر كل احترام لسائر اخوته، صح في الحديث قوله عليه الصلاة والسلام :"الأنبياء أخوة من علات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد". والأخوة

من العلات هم المولودون من أب واحد وأمهات متعددة.

إن الإيمان بالرسل وتوفير الاحترام لهم والدفاع عنهم واجب على كل مسلم، وهو إنصاف من الإسلام وتقدير لدورهم الكبير في خدمة الإنسان، ومن القيم الدينية إنزال الناس منازلهم، والدفاع عن الأبرياء منهم (٧).

هوامش الفصل الثاني

(١)www.jesusinlove.org

(٢) دكتور رمسيس عوض ،عصر العقل ونهاية المسيحية: مجلة القاهرة العدد (١٥٢) ص١٩٩ ـ ٢٠٠.

(٣)المصريون: بتاريخ ١٧ - ٢ – ٢٠٠٨.

(٤)Netarabic Lebanon News March 5th, 2008.

(٥)وديع عواودة – حيفا الأربعاء ١٤٣٠/٢/٢٣ هـ- الموافق٢٠٠٩/٢/١٨ الجزيرة.



(٦) آل عمران: ٥٩ .

(٧) عطية صقر، المصطفون الأخيار ،ص ٣٣ ومابعدها ، كتاب مايو الديني.

الباب الثالث: حريـــة الإســـــاءة

- حريـــــــــــــــة .."التعبيـــــر المراوغ"
- الاحتـجاج: حلالٌ لهم وحـرامٌ علينـــا
- الهولوكست محرقة: تحرق من ينتقدها
- حرية التعبيرفقط؛ لإهانة الإســـــــلام



الفصل الأول: حريـة "التعبيـــر المراوغ"

بينت أحداث الإساءات المتكررة والمتواصلة لشخص رسولنا الكريم صلى الله عليـه وسـلم مدى تناقضات الغرب وبلادته، وكراهيته للإسلام التي عبر عنها الرئيس الفرنسي نيكولاي ساركوزي بالقول إن: (المبالغة في الكاريكاتير مطلوبة أكثر من المبالغـة في الرقابـة).وهـو الذي منع تداول كتاب يتحدث عن حياته البائسة، كما مارس ضغوطا لنزع ملصقات مـن محطات الميترو تتناوله شخصيًا. وواقع الأمر أن الرجل هنا يستخدم حقه كمـواطن فرنسي-

في الأساس لأن القانون الفرنسي يمنع التعرض للحياة الشخصية للأفـراد، ولكـن عنـدما يتعلق الأمر بالإسلام، يحول ذلك إلى "حرية التعبير" دون تفريق بين الحريـة والعـدوان. تـم سحب لوحات فنية من فيينا تصو، كل من الرئيس الأميركي جورج بوش، والملكة إليزابيـث، و توني بلير و الرئيس الفرنسي، من معرض كبي، تراجعت النمسا عـن عـرض صـور لقـادة غربيين تناولهم رسامون بالنقد والتجريح، حيث استجابت اللجنة النمساوية، المشرفة على أعمال الفنانين الأوروبيين، لطلب الحكومة النمسـاوية، والداعي لإزالـة جميـع الملصـقات التي وصفتها باللاأخلاقية، والتي تم توزيعها في الأماكن المخصصة للإعلانات في الشـوارع الرئيسية،والساحات العامة، وتضم صـورًا فاضـحة لبـوش و سـاركوزي. وقـد شـمل هـذا الإجراء إزالة ثلاث لوحات مثيرة للجدل، وأثارت ما وصف في بعض وسائل الإعـلام بحملـة من الاستياء والاستنكار في مختلف الأوسـاط السياسـية والحزبيـة والـرأي العـام، لـيس في النمسا فحسب بل وفي غالبية عواصم دول الاتحاد الأوروبي، من بينهـا لوحـة تصـور ثـلاث نساء يحملنّ أقنعة تمثل ملكة بريطانيا اليزابيث الثانيـة والـرئيس الأمـيركي جـورج بـوش والرئيس الفرنسي، وهم في أوضاع جنسية مشبوهة ولم توصف تلك اللوحـات بأنهـا تعبـير عن الحرية، وحقوق الإنسان، وعدم تقيد الفن بأي قيود أخلاقية بـل أُعتُـبِرَ ذلـك إسـفافًا

وانحطاطًا للفن. واختفت حرية التعبير كالعادة.

ولقد أثار رسم كاريكاتوري جاء على غلاف مجلة "نيويوركر" الأمريكية ضجة كبيرة في الولايات المتحدة، بعدما صوّر الرئيس الأمريكي باراك أوباما في زيّ إسلامي، بينما ظهرت زوجته على شكل "إرهابية" تحمل رشاشًا. ويبين الرسم أوباما وهو يقف في المكتب البيضاوي مرتديًا زيًا إسلاميًا ويضع عمامة على رأسه، في حين تحمل زوجته ميشيل رشاشًا، وهما يتبادلان التحية بلمس القبضتين، وهو أسلوب أمريكي في تبادل تحية حميمة، في حين يحترق علم أمريكي داخل المدفأة، وصورة أسامة بن لادن معلقة على الجدار. حتى أن المنافس الجمهوري على الرئاسة الامريكية "جون ماكين" استنكر الرسم، وأشار المتحدث باسم حملته "تيكر بوندز" إلى أنهم يتفقون تمامًا مع حملة أوباما "إنه رسم تافه ومسيء". ووصفت الرابطة الوطنية للصحفيين السود الرسم بأنه :"القاسم المشترك في سوء الذوق والمستوى".

أما في أسبانيا فقد أدان القاضي بالمحكمة العليا كلاً من الرسامين "جييرمو توريس ومانيل فونتدفي" بتهمة "إهانة ولي العهد"، وأمر بتغريمهما مبلغ ٣٠٠٠ يورو (٤٥٠٠ دولار) بعد أن نشرا رسومًا كارتونية بصحيفة:"الجيفيز الساخرة"، ومصادرة جميع نسخ صحيفة "الجيفيز"، والتي نشرت بها الرسوم وذلك لأن القانون الجنائي الإسباني يحظر أي إهانات موجهة للعائلة المالكة في إسبانيا. كما أكدت المحكمة أنها اتخذت تلك الخطوة بعد تلقيها

شكوى من مكتب المدعي العام للدولة وصف فيها تلك الرسوم بأنها: "تشـهيرية تسـتوجب العقاب".

كما تم سحب دمية من الأسواق تسخر من بابا الفاتيكان وتقول:"الأب والابن والرايخ الثالث". وفيما له اتصال بالبابا فقد اضطرت هيئة رسمية في أمريكا لسحب فيلم فيديو قصير كان يروج لتخفيف حدة الازدحام المروري أثناء زيارة بابا الفاتيكان المنتظرة للعاصمة الأمريكية بعد اعتراضات من الكنيسة الكاثوليكية لوجود لقطات في الفيلم لدمية تمثل البابا اعتبرت مسيئة لكونه "شخصية مقدسة". حيث قامت هيئة أنفاق مدينة واشنطن مضطرة بسحب الفيلم القصير الذي ظهرت فيه دمية برأس متحركة للبابا بينديكت السادس عشر في زيه الديني وكان الفيلم يحث الجماهير على عدم إعاقة المرور أثناء زيارته ويطالبهم بركوب قطار المترو بدلا عن السيارات أو المواصلات الخاصة التي قد تزحم شوارع العاصمة الأمريكية إلا أن الكنيسة الأمريكية اعترضت فورًا على الفيلم لأن البابا لم يكن يرتدي الزي المناسب، وقالت "سوزان جيبس" المتحدثة باسم ابراشية واشنطن:(أن الدمية ظهرت للبابا وهو يرتدي قبعة صغيرة حمراء)، وقالت:(أن البابا لا يرتدي قبعة حمراء، إنها بيضاء). كما قالت في تصريحات للصحفيين: (إن هذا هو أب مقدس ولا أعتقد أن الكثير من الناس سوف يكونوا مرتاحين لرؤية دمية رأسها تهتز في

إعلان عن البابا).

يذكر أن الفيلم الإعلاني يظهر دمية البابا وهي تركب الخط الأخضر في شبكة أنفاق واشنطن ثم يقوم بشراء تذكرة مرور لمدة يوم ثم تتصرف بأناقة والتزام أثناء مروره في المترو كأنه يقف على يمين سير الصعود أو النزول إلى محطات الإنفاق ليسمح للآخرين بالمرور (١)

.

الغريب في الغرب الحر العادل أنهم يثبتون القداسة لمن لا قداسة لهم من البشر لمجرد أنهم وضعوهم فوق كرسي ديني، ثم بكل حماقة وجهالة ينزعون القداسة ممن قدسه الله عز وجل بأن اصطفاه واختاره وجعله سيدًا للبشر صلى الله عليه وسلم، بل أن بابا الفاتيكان المقدس لم يحترم مقدسات أهل دين آخرحين تطاول على المسلمين في دينهم وربهم ورسولهم، في محاضرته الشهيرة بألمانيا، وحين سمح بوجود لوحة رسمها رسام نكرة يدعى "جيوفاني دو مودينا" موجودة كاتدرائية سان بيترونيو بمدينة بولونيا في وسط إيطاليا وهي عبارة عن رسم لشخص عار ممد أرضًا وهو يعذب في جهنم بشكل بشع وقد كُتِبَ على جانبها بحروف واضحة اسم النبي صلى الله عليه وسلم.

يقول الدكتور باسم خفاجي معلقًا على هذه الفعلة المخزية (٢): (الغريب بالنسبة لهذه

اللوحة هو رفض الكنيسة الكاثوليكية المتكرر لطمسها أو حجبها أو حتى تغطيتها حرصًا على مشاعر العالم الإسلامي؛ رغم النداءات المتكررة من مسلمي أوربا للفاتيكان بذلك.

المشين والغريب والذي يدمي القلب حسرةً أن الأزهر قلعة الإسلام كان يستقبل أساقفة الفاتيكان بل وكون معهم لجنة مشتركة دعت في بيان مشترك إلى "مراجعة" الكتب المدرسية في كافة أنحاء العالم لتنقيتها من النصوص التي يمكن أن تسيء للمشاعر الدينية لمؤمنين آخرين.

وقالت اللجنة: "يجب أن تتم مراجعة الكتب المدرسية، حتى لا تتضمن نصوصًا يمكن أن تسيء للمشاعر الدينية لمؤمنين آخرين، وهو الأمر الذي يحدث أحيانا بسبب تناول خاطئ لمعتقدات وقيم أو تاريخ أديان أخرى.

واعتبرت اللجنة أن الإعلام يتحمل مسؤولية كبيرة في النهوض بعلاقات إيجابية وقائمة على الاحترام بين المؤمنين من مختلف الأديان.

كيف سيتم تنقية الكتب والكنائس مازالت جدرانها تنطق بصور مليئة بالإهانة لنبي الإسلام بل وتماثيلها مثل هذا التمثال المنحوت من الخشب والذي يظهر في أسفله صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم ملقى على الأرض على وجهه وهو يحتضن القرآن، وتدوسه أقدام ملائكة يُعبِّرون عن هزيمة وانكسار النبي صلى الله عليه وسلم، وعن انتصار المسيحية على الإسلام. والتمثال مقام في محراب كنيسة "سيدتنا العزيزة"

في مدينة ديندرموند ببلجيكا وهي من الكنائس الهامة في أوربا.

كما أن الإعلام ليس وحده المسؤول بل مسؤولية المؤسستين الدينيتين في الشرق والغرب بصفة عامة، ومسؤولية رجال وعلماء الأزهر بصفة خاصة في الذب والذود ضد من يسيء إلى نبينا صلى الله عليه وسلم خاصةً وأن من أساء"الفاتيكان" فإذا جاء بأساقفته ليمدوا يد التعاون فلا أقل من أن يبينوا حسن وصدق النوايا فتكون باكورة هذا التعاون هو إزالة كل اللوحات والتماثيل المسيئة الموجودة بكنائس يبسط الفاتيكان سلطانه عليها، فلا عذر له بالاحتجاج بعدم الاستطاعة أو التذرع بحرية التعبير المزعومة والمخادعة خاصةً وهناك سابقة أزالت فيها الولايات المتحدة الأمريكية تمثالاً لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كان منصوبًا عام ١٩٠٢ في دار القضاء في ضاحية ماديسون في نيويورك، و تمت إزالة التمثال المذكور بتوصية من وزارة الخارجية الامريكية بناءً على طلب من الحكومات الإسلامية. و لم يكن المقصود من إقامة التمثال هو الإساءة مطلقا، ولكن بغرض التكريم غير الواعي لخصوصية النبي الكريم عند المسلمين وكذلك عدم معرفة الأمريكان بكيفية احتفاء المسلمين بنبيهم صلى الله عليه وسلم، والإيجابي هو اعتراف الأمريكان بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم من كبار المشرعين في تاريخ الإنسانية، وإن كان هذا لا يضيف جديدًا لنا لمعرفتنا بمكانة نبينا صلى الله عليه وسلم ، والجميل أن الدول الإسلامية كانت واعية لتلك اللحظة بحيث لم تأخذها نشوة الاعتراف الأمريكي فأبقت على التمثال؛ بل الإصرار على المطالبة بإزالته، والموضوع كما نشرته وسائل الإعلام بأمريكا ومصر (٣): أقيم نصب تذكاري للنبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم في مدينة نيويورك، يمثل النبي صلى الله عليه وسلم وهو متشح سيفه، قابضُ بيمينه على نجاد السيف تحت صدره الشريف، ويسراه من تحت النجاد آخذةً بأطراف ردائه الفضفاض. وكثير من المسلمين، بل وكثير من العرب أيضًا لا يعرفون عن خبر هذا النصب شيئا. وقد أقيم عام ١٩٠٢ في دار محكمة الاستئناف في "ماديسون" في نيويورك، ليكون واحدًا من عشرة تماثيل لكبار المتشرعين

في تاريخ الإنسانية. وفي فبراير ١٩٥٣ قررت وزارة الأشغال العامة الأمريكية توسيع تلك البناية، وتنظيف التماثيل القائمة على واجهتها، فنشرت الصحف أسماء أصحاب التماثيل، فعرفت الدول الإسلامية بالأمر، وتسارع سفراء الدول الإسلامية للاحتجاج على وجود التمثال، والعمل على إزالته بأقصى سرعة، وتوجت مساعي السفراء بإزالة النصب يوم ١٩٥٥/٤/١٤.

لقد أوهمونا أن حرية التعبير مقدسة مطلقة، وجعلونا نتخبط في الانتقال بين المربعين، مربع حرية التعبير ومربع الحرية الشخصية، والفرق بينهما واضح؛ فرسم أي شخصية بشكل ساخر مهما كان منصبه أو مكانته هي حرية تعبير، وتصوير الإنسان على أي وضع دون إذن منه بنشر هو اعتداء على حرية شخصية.

يؤيد هذا منع القضاء الفرنسي مجلة " كلوزر" من بيع أو إعادة نشر صور دوقة كامبريدج التي التقطت لها بمنطقة "بروفانس" في جنوب فرنسا و تظهر فيها عارية الصدر، بدعوى انتهاك الحياة الخاصة لها.

كما يؤيده أيضًا قضاء أمريكا الشامخ في الدفاع عن الحريات والحرص على حماية حرية التعبير إلا إذا مسّت اليهود والكاثوليك؛ فقد أقرت المحكمة العليا الأمريكية مبدأ هامًا في حكمها الصادر عام ١٩٥١ في قضية فينز ضد نيويورك Finssr V.N.Y وفي هذا الحكم

كتب القاضي فرانكفورتر ـ وهو أحد الحريصين على حماية حرية التعبير ـ رأيًا مستقلًا قال فيه: (حينما يكون السلوك واختلاف نطاق التعبير المسموح به عن الرأي فإن رجال البوليس يكونون حراسًا لأمن المتحدث وأمن السامعين على السواء. على أن سلطة المحافظة الفعالة على النظام لا يمكن تنحيتها بإعطاء المتحدث حصانةً مطلقة). وكذلك حُكم المحكمة ذاتها في قضية Kunz V. New York حيث سحبت الإدارة ترخيصًا ممنوحًا للمدعي Kunz بعقد اجتماعات دينية في شوارع نيويورك لأنه تعرض بالإهانة لجماعات دينية أخرى كاليهود والكاثوليك (٤).

يبارزوننا بانتهاك الحرية الشخصية حين يمس السخرية والتهكم بعض رؤسائهم وشخص البابا بينما يجمدوننا في المربع الأول "حرية التعبير" حين يمس الأمر شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أعظم عند المسلمين من كل شخص عندهم مهما بلغ شأنه.

وتأتى شهادة الفيلسوف الفرنسي الشهير"ريجيس دوبريه" لتؤكد كل ما ذهبنا إليه والتي أدلى بها للمجلة الفرنسية الأسبوعية " لونوفيل أوبسرفاتور" بأن:(حرية التعبير ليست مطلقة في أوروبا، فالمادة الحادية عشرة من شرعة حقوق الإنسان لعام ١٧٨٩[عام الثورة الفرنسية] تنص على أن: "لكل مواطن الحق في التعبير عن آرائه بحرية، على ألا تتجاوز الحدود التي نص عليها القانون"، ويضيف دوبريه بأن كافة المجتمعات دون استثناء لديها مقدساتها التي تحرم المس بها، وإذا كانت أوروبا رفعت القدسية عن الدين، إلا أنها صبغتها

على أشياء أخرى مثل المحرقة اليهودية والطفولة والمساواة بين البشر، وهي تعتبر كل من ينتهكها بمثابة من يدنس المقدسات.

ولا يتبقى إلا النداء الأخير: أيها الغرب أفق، فالإسلام الذي تحاربه ليس بعيدًا عنك، فهو من زمن بعيد تدرسونه في جامعاتكم، وأصبح الآن يشكل تجمعات كبيرة كجزر واسعة في أراضيكم، بل أن جزءًا من شعوبكم صار مسلمًا ويصير، فلا داعي لهذه السخافات التي سحبت من رصيد انبهارنا بكم الكثير، وتزرع العداوة والبغضاء، يا من تصدعون رؤوسنا بدعاوى المحبة والسلام، ومن أسف كنتم مصدر إرهابنا، فمن منا الإرهابي، والمراوغ؟!

هوامش الفصل الأول

(١) واشنطن ـ وكالة أنباء أمريكا إن أرابيك : ١١ / ٤ / ٢٠٠٨ .

(٢) لماذا يكرهونه صلى الله عليه وسلم ؟ ص ٣٥.

(٣) على غلاف صحيفة النيويورك تايمز بتاريخ ١٩٥٥/٤/٩،



سجلت الكاتبة ايرا هنري فريمان بقلمها صفحتين خبرا بعنوان " Mohammed Years; Quits Pedestal Here On Moslem Plea After 50 MOHAMMED TAKEN FROM COURTHOUSE و كـــذلك نشرته جريدة العلم العدد (٢٤٠٧) .

(٤)دكتور كمال أبو المجد : حدود حرية التعبير، مجلة الهلال ـ ابريل ١٩٩٢.

الفصل الثاني: الاحتجاج: حلالٌ لهم وحرامٌ علينا

من حق الغرب الإهانة وعلينا الإذعان، ومن حقهم الإساءة وليس علينا الاحتجاج ..لقد وصف أحد المتنطعين من الشرق وأحد الحاقدين من الغرب موقف الأمة الإسلامية في إعلان غضبها واستنكارها لما مس نبيهم وسيدهم صلى الله عليه وسلم بأنه: (ردود غوغائية تطالب بإعادة بوليس

الفكر، ومحاكم التفتيش)، وأقنعونا بأن الغرب هناك يعيش تحت مظلة حرية التعبير التي نجهلها ووجب علينا احترامها، ولا أدرى على من هان عليهم دينهم من أبناء الإسلام كيف سيقنعوننا بعدم الاحتجاج احترامًا لحرية التعبير بعدما ثار أهل حرية التعبير ضد من عبروا عن آرائهم بحرية ضد دينهم ورموزهم ومعتقدهم.

وإذا كان الإعلان العالمي لحقوق الإنسان بالأمم المتحدة قد تبنى عام ١٩٤٨ المادة ٩١ التي تفيد بأن:"حرية التعبير والرأي مكفولة للجميع دون تدخل"، فيجب العلم بأن هذه المادة تأتي ضمن قرار من الجمعية العمومية للأمم المتحدة وليست معاهدة توقع عليها الدول، ومن ثم فهيّ غير ملزمة لأيٍ من الدول الأعضاء في الأمم المتحدة. وعلى الرغم من أن دولاً مثل: إيطاليا و إيرلندا و هولندا قد تبنت الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، إلا أنها أصرت على التحفظ على هذه المادة التي اعتبرت أنها قد تؤثر على حق حكوماتها في التحكم في الإعلام.

بينما في الدنمارك ـ الدولة المنبع للرسوم المسيئة للرسول - يبيح القانون لأي شخص أن يعبر عن رأيه سواء كان ذلك من خلال الطباعة أو الكتابة أو التعبير ويمنع القانون أي نوع من الرقابة أو المحاذير على حرية التعبير، هذا بالنسبة للجانب القانوني.

أما الواقع فينطق ويقول ويتفجر بخلاف ذلك؛ فقد رفضت الكنيسة الكاثوليكية منح الموافقة للكاتب "دان براون" على تصوير مشاهد الجزء الثاني من فيلمه المثير للجدل "دافينشي كود". الفيلم يدعى "الملائكة والشياطين" وهو من بطولة الممثل الحائز على جائزة أوسكار"توم هانكس". وفيما ينهمك فريق الفيلم في تصوير المشاهد في روما، رفضت الكنيسة منح الموافقة على تصوير مشاهد داخل كنيستي"سانتا ماريا ديل بوبولو" و"سانتا ماريا ديلا فيتوريا". وكانت المراجع الدينية في روما قد أبدت استياء ومقاطعة لفيلم دافينشي كود للكاتب نفسه، والذي اقترح أن النبي عيسى رزق بابنة من مريم المجدلية متهمًا طائفة "اوبس داي كاثوليك" بتنفيذ جريمة اغتيال الطفلة. وقال الأب "ماركو فيبي" :(بناء على أحداث دافينشي كود، فإن منع منح الإذن كان تلقائيًا، ولو ألحوا علينا، لكنا قرأنا السيناريو، ولكن لا أعتقد أن المشاهد ستعطي انطباعًا جيدًا عن الكنيسة). وكان الكاردينال"تارسيسكو بيرتوني" وزير خارجية الفاتيكان، قد طلب مقاطعة "دافينشي- كود" واصفًا الفيلم أنه مجموعة من الأكاذيب والاختراعات .

حتى الإعلان لم تتحمله محكمة فرنسية فأصدرت حكمًا لصالح الكنيسة الكاثوليكية بحظر ملصق إعلاني قائم على لوحة ليوناردو دافينشي الشهيرة "العشاء الأخير للمسيح"، وقال القاضي في حيثيات حكمه:(إن هذا الاعلان يمثل عدوانًا على معتقدات الناس)، وكانت الكنيسة قد

اعترضت على الرؤية التي وضعها المصممان "ماريتي وفرنسوا جيربو" للوحة العشاء الأخير للمسيح حيث يظهر بها شخصية المسيح وكل تلاميذه تقريبًا من النساء. وقد حظرت السلطات في مدينة ميلانو الايطالية هذا الملصق الإعلاني في الشهر الماضي. وأمر القاضي بإزالة الملصقات التي تحمل هذه اللوحة في غضون ثلاثة أيام. وكانت الوكالة المعنية بمراقبة الإعلانات في إيطاليا قد قالت: (إن استخدام رموز مسيحية أمر يمثل إساءة لقطاع من السكان)!.انظروا، لقطاع من السكان، كم يمثل هذا القطاع داخل مدينة تضمها دولة، وقارنوهم بالملايين الذين يفوق عددهم المليار ونصف المليار، ويشغلون كم مدينة وقرية وعاصمة، ستدركون حجم الاستخفاف والاستهانة والإساءة.

كما احتجّ الأساقفة الكاثوليك في بلجيكا أيضا ضد إعلان تلفزيوني يُظهر المسيح و كأنه من "الهيبيز" يتعرف على نساء نصف عاريات في أحد الملاهي الليلية، بدعوى: "إن مثل هذا النوع من التصوير للمسيح لا يبدي أي نوع من الاحترام للمؤمنين، و بالتالي من الخطأ استخدامه في الإعلان "..لكن يسمح باستخدامه كرسوم مسيئة و ليست إعلاناً، و في صحف سيارة!

وللذين ينددون من مثقفينا ويصرخون عند مصادرة كتاب يهاجم العقيدة، نددت أيضًا الكنيسة الكاثوليكية الفرنسية ولكن للمطالبة بمصادرة كتابين يهاجمان العقيدة حيث يشككان في أن السيدة العذراء كانت عـــذراء

عندما وضعت المسيح عليه السلام، واعتبر كبير لجنة الأساقفة الفرنسيين التي راجعت الكتابين المذكورين أنهما:(ينتهكان بصورة فظيعة العقيدة المسيحية). والكتابان هما: "مريم أم المسيح" للصحفي الكاثوليكي "جاك دوكسنا" وهو من أكثر الكتب مبيعًا، و"مريم والرحلة العقدية" لعالم اللاهوت "دومنيك سربلو". والمعروف أن الفاتيكان كان ـ حتى الستينيات من القرن الماضي ـ يحتفظ بقائمة تضم الكتب التي يعتبرها محظورة، لكن من النادر الآن أن يعلق الأساقفة على المنشورات التي لا تتفق مع آراء الكنيسة. ويهاجم هذان الكتابان إحدى العقائد الأساسية في الديانة المسيحية، إذ تنظر الكنيسة الكاثوليكية أكبر الكنائس في العالم إلى العذراء على أنها حملت عن طريق "الروح القدس" كما تعتبر تشريفها دعامة من دعائم المسيحية. واتهمت لجنة الأساقفة التي نظرت في هذه المسألة الصحفي الفرنسي "دوكسنا": (بأنه جاهل بأصول الفكر المسيحي) بسبب قوله إن مريم البتول لم تكن عذراء عندما ولدت المسيح عليه السلام وادعائه أنها أنجبت أطفالا آخرين بعده. لكن انتقادات اللجنة لـ"سربلو" كانت أعنف؛ إذ اعتبرت أن كتابه قد يهز عقيدة عدد كبير من المسيحيين، وأن "دوكسنا" اعتمد على ما جاء فيه لتبرير بعض حججه، غير أن اللجنة لم تصل إلى حد إدانة ذلك الكتاب (١).

وقامت ثورة في العاصمة الاسترالية سيدني ضد معرض للأعمال الفنية الدينية يُشبه صور أسامة بن لادن بصور للمسيح وتمثال لمريم العذراء، قالت صحيفة "The Vancouver Sun" إن الأعمال الفنية كانت

من بين أكثر من خمسمائة من الأعمال الفنية المشاركة في جائزة الفنون الدينية، وأدرجت في معرض الفنون الوطني في المدارس في سيدني. وقال رئيس الوزراء الأسترالي جون هوارد لصحيفة "ديلي تلجراف":(إن اختيار هذه الصور هو مسوغ للهجوم على المعتقدات الدينية لكثير من الأستراليين). وشن اللوبي المسيحي في استراليا حملة تنديد واسعة ضد المعرض والقائمين عليه (٢).

كما عرض متحف نمساوي صورًا مسيئة إلى المسيح، على هامش معرض حمل عنوان "الدين والنزوة والقوة"، لتكريم الرسام النمساوي ألفريد هردليكا الذي بلغ سن الثمانين من عمره، ويضم صورًا "جنسية وهزلية" يظهر فيها المسيح. وتظهر إحدى اللوحات المعروضة المسيح مصلوبًا بينما كان أحد الجنود يضربه ويمسك بأعضائه التناسلية، لكن مدير المعرض قال:(أنه لا يرى في الأمر إساءة إلى الدين). وأثار المعرض موجة من الغضب بين زوار المتحف و الكتاب الصحافيين والمدونين ومواقع الإنترنت المسيحية في النمسا وألمانيا. وطالب مقال نشره موقع "كروز.نت" مدير المتحف بالاعتذار لكاثوليكيي العالم!

كما احتجت دولة الفاتيكان رسميًا على برنامج بثته إحدى محطات التلفزيون الإسرائيلي سخر من المسيح عليه السلام، والسيدة مريم العذراء. وقد ساد الاحتجاج والغضب المرجعيات الكاثوليكية بالأراضي المقدسة للبرنامج الذي بثته القناة العاشرة الإسرائيلية، وتضمن محتوى

ساخرًا و تجديفيًا إزاء السيدة العذراء. ولفت الفاتيكان إلى أن السلطات الرسمية الإسرائيلية ما أن أخطرت بالواقعة عبر القاصد الرسولي حتى سارعت إلى ضمان تدخلها لوقف برامج مماثلة والحصول على اعتذار رسمي.

وجاء الفيلم الايطالي "سبعة كيلومترات من القدس" ليشهد احتجاجات من شركة منتجة لمشروب صوره الفيلم، واحتجاجات أخرى من المجتمع بطوائفه حيث صور الفيلم السيد المسيح وهو يشرب كوكاكولا فأثار هذا المشهد احتجاجًا شديدًا من الشركة المنتجة للمشروبات دفعها للاعتراض على عرض الفيلم، ويحكي الفيلم قصة فنان إعلانات إيطالي يبحث عن ذاته بعد أن خسر عمله وزواجه، وبعدما يسافر الفنان للقدس يلتقي المسيح صدفة ويعرض عليه علبة كوكاكولا، وينظر للمسيح وهو يشرب، فيقول لنفسه : (يا له من تقدير). واعترضت كوكاكولا على ذلك، حيث بعثت برسالة قانونية تشدد فيها على ضرورة حذف المشهد الذي يشرب فيه المسيح المشروب الشهير. وقالت وسائل إعلام إيطالية:(أن الشركة شعرت أن استخدام علامتها التجارية غير مقبول وقد يضر بصورتها). أي ليس اعتراضًا على ظهور المسيح عليه السلام بهذه الهيئة والطريقة، ماذا تقول للعالم المتحضر حينئذ!

أما في ألمانيا فقد إحتجت الكنائس بشدة على إنتاج نوع جديد من الشكولاتة "بهيئة السيد المسيح"، و إعتبرت الأمر فعلاً مسيئًا للدين



المسسيحي، وقطعة الشكولاتة هـذه تـزن مائـة جـرام وتبـاع بسـعر ١٥ يـورو للقطعة. وهي شوكولاتة عضوية ومتاحة للجميع في الفترة التي تسـبق اعيـاد الميلاد. لكن متحدثًا باسم الشركة المنتجة قال إن ريـع الكثـير مـن الاربـاح سيذهب إلى الجمعيات الخيرية كتبرعات. وقال القـس هـني ديـرك: إنـه لـيس هناك ما يستدعي فعل ذلك ، وطالب المؤمنين بالمسيح بعدم تناول الشـكولاتة ومقاطعة بضـائع الشرـكة المنتجـة. ونشرـت صـحيفة "تـرومبتر" في الجنـوب الهولندي مقالاً تنتقد فيه تجسيد المسيح لهذا الشكل. وجاء في المقال:"ليس من المعقول تصور أن الأطفال يأكلون شوكولاتة بهيئة المسيح (٣).

وقامت ثورة في العاصمة الأسترالية سـيدني ضـد معـرض للأعمـال الفنيـة الدينية يُشبه صور أسامة بن لادن بصور للمسيح وتمثال لمريم العذراء، وقـال رئـيس الـوزراء الأسـترالي إن اختيـار هـذه الصـور هـو مسـوغ للهجـوم على المعتقدات الدينية لكثير من الإستراليين. وشن اللوبي المسيحي في استراليا حملة تنديد واسعة ضد المعرض والقائمين عليه.

لعل بعضهم سيحتج قائلاً: ولكن احتجاجهم في الغـرب لـم يصـاحبه عنـف مثلما حدث في شرقنا الإسلامي، ومع إني أدين بشدة العنف المبالغ فيه و الذي ثبت أنه كان بأيدِ خفية من غير المحتجين، إلا أنني أثبت وبشدة أن العنف في الاحتجاج المسيحي الغربي كان حاضرًا أيضًا ومن أراد أن يراجع، فأمامـه ذلـك الذي حدث في السويد عندما انفجرت موجات عنف غاضبة لم تخل من شغب

صاخب من المتشددين ضد صور بالحجم الكبير تمثل شخص المسيح عليه السلام تسيء له في معرض للفنون بدولة السويد. جاءت تلك الصورة المسيئة مع مجموعة صور أخرى فاضحة ضمن كتاب صدر وعلى صفحاته صوروا السيد المسيح عليه السلام في أوضاع مخلة مشينة يعف قلمي عن ذكرها ، مما حدا بمجموعة من الشباب المسيحي المتطرف بمحاولة إشعال النار في الصور بالمعرض الفني، إلا أن جمهورا من ثلاثين شخصا من العلمانيين حاولوا منعهم فقام المتشددون بالتعدي عليهم بالضرب!

وقِس على هذا حالات لا يتسع المقال لذكرها، غير أنه من غير العدل أن تهينني في عقيدتي، ثم ترسم لي حدود الرد المسموح في رد إهانتي، فكيف يكون الغرب هو الخصم والحكم، والجاني والجلاد في آن واحد، لقد تعودنا منذ زمن بعيد معيارية الحكم المزدوج المتناقض الصادر من رجل الكاوبوي، وتابعه رجل الإسباجتي الغربي، في أمور تتعلق بالسياسة وحقوقنا المهدرة، وسرقة أراضينا، وتاريخنا، ومواردنا، لكن أن يصل قطارهم الجائر إلى محطة مقدساتنا، فهنا تقع المسئولية على من اعتدى قبل أن تقع على من احتج ، والسفيه هو من يكرر إساءاته، لا من يكرر احتجاجاته.

هوامش الفصل الثاني

(١) جريدة القاهرة العدد: 28 ديسمبر 2004 .

(٢) وكالة الأخبار الإسلامية02/09/2007 .

(٣)عدنان أبو زيد من أمستردامwww.elaph.com3L12L2008 .

الفصل الثالث: الهولوكست محرقة : تحرق من ينتقدها

أصبحت "الهولوكست" الصخرة المجيدة المقدسة التي تتحطم فوق قمتها جميع ادعاءات ما يسمى بحرية التعبير في الغرب الحر فبسببها تعرض مجموعة من المؤرخين والعلماء والمفكرين من مشاهير أوربا وغيرها بالسجن، والضرب، والاضطهاد، والمصادرة، والعزل، والهروب، والملاحقة، والطرد بل الموت أيضا.

من ضحايا تلك الملعونة المؤرخ البريطاني "ديفيد ايرفنج" الذي حكم عليه بالسجن بتهمة أنه نفي وجودها، مع كونه مؤرخًا مارس حقه في حرية التعبير وبحسب تخصصه



العلمي أعلن:(أن المحرقة لم تكن موجودة بالصورة المرسومة في بعض المراجع و الأدبيات السياسية والثقافية والدعائية)، فسجنوه وسحلوه وشهروا به حتى أعلن صارخًا في وجه من يحاكمونه : (إن التهمة الموجهة إليّ تعني مصادرة حقي العلمي في حرية التعبير).

وهي جريمة أقدم عليها قبله المؤرخ وعالم الجغرافيا الفرنسي الشهير "بول راسنيين" فأصدر عام ١٩٤٨، أهم كتاب تاريخي حول أكذوبة الهولوكست تجاوز الخط ، أثبت فيه بالأرقام والإحصاءات الدقيقة أن عدد اليهود الذين قتلوا بفعل الحرب أو بفعل اضطهاد النازية لهم ولغيرهم من الجنسيات غير الألمانية لم يتجاوز عدة مئات من الألوف، فكان جزاؤه المطارة ثم المحاكمة التي شملته و ناشر الكتاب بل وكاتب مقدمة الكتاب بغرامة مالية كبيرة ثم تلا "راسنين" بسنوات طوال في سبعينيات القرن المنصرم "روبيرفوريسون" الباحث الفرنسي المتخصص في النصوص القديمة و"فرانسوا دوبار" أستاذ التاريخ فماذا كان جزاؤهما ؟، أما الأول فقد حكمت عليه المحكمة الفرنسية بغرامات كبيرة أدت إلى إفلاسه وانهياره وعائلته مادياً؛ فقد صدر الحكم عليه بالسجن لمدة ثلاثة أشهر والغرامة بمبلغ خمس آلاف فرنك ودفع تعويضات قدرها عشرة آلاف فرنك مع إجباره على نشر الحكم على نفقته في الصحف الفرنسية، وطردته جامعة ليون فخسر كرسيه الجامعي، والثاني لم يُنكر الواقعة تمامًا وإنما شكك في عدد ضحايا المحرقة فكان جزاؤه أن يموت في سيارته

منفجرًا بها.

ويبدو أن آفة البشر النسيان، فلم تكد تحل ثمانينات القرن المنصرم وفي سابقة لم يعرفها تاريخ البحث العلمي الفرنسي قام مشكورًا ومضطرًا السيد وزير التعليم الفرنسي- آنذاك بسحب الدرجة العلمية التي حصل عليها بامتياز الباحث والمؤرخ الفرنسي- "هنري روك" عن رسالة دكتوراه كان قد قدمها لجامعة "نانت" ناقش فيها اعترافات ضابط نازي وفندها تاريخيًا وعلميًا ، بل واتُهم بمعاداة السامية، ولم تستطع دار نشر من الاقتراب من محاولة نشرها، وعندما تجرأت دار نشر صغيرة وفعلتها، لاحقتها المحكمة الفرنسية باصدار قرار منع وبيع وتداول الكتاب، وذلك استنادًا للقانون الفرنسي- الذي يهدد كل من يعترض أو يناقش أو يشكك في مسألة استئصال وإبادة اليهود بالسجن سنة وغرامة تصل إلى ثلاثمائة ألف فرنك . ولم تكن فرنسا بدعًا في هذا الأمر فالنمسا هي الأخرى لديها قانون جاهز وفوري بالحكم بالسجن لمدة ستة أعوام لمن ينفي وجود المحرقة. تشمل قائمة من اضطهدوا لنفس السبب العديد من أمثال: أوجين كوجن لتأليفه كتاب: "فرق الهجوم الكاذب"، وريتشارد هاروود مؤلف كتاب: "أسطورة رقم واحد"، وأيضا البروفيسور آرتور باتز أستاذ الهندسة الكهربائية والكومبيوتر

في جامعة نورتوسترن في إونستون ايلينويز بولاية شيكاغو الأمريكية، وهو مؤلف كتاب:"خدعة القرن العشرين" والذي يشير فيه إلى الهولوكوست وابتزاز الصهيونية لهذه القضية، و ستاغليس فيلهالم مؤلف كتاب:"أكذوبة معسكر أوشفيتز"(١)، وديثليب فيلديرر لتأليفه كتاب:"الخروج من معسكرأوشفيتز"، أما جريمة المؤرخ سرج تيون من وجهة نظر مضطهديه فتكمن في قيادته لمجموعة من المفكرين تولت الدفاع عن روبير فوريسون ونشر كتابا وضع له عنوان:"حقيقة تاريخية أم سياسية".

أما جريمة الجرائم فهي ما فعله البروفيسور فريدرك بيرج حين أثبت علميًا استحالة قتل البشر بغاز الديزل وهى الوسيلة التي ادعى اليهود أن النازيين استخدموها في إبادتهم ،الخبير الدكتور فردريك توبن مدير مؤسسة آديلايد في استراليا وكانت عقوبته السجن لمدة ستة أشهر في ألمانيا لكونه ألمانيًا وذلك بتهمة التحريض على الحقد العنصري خاصةً وأنه أكد زيف قضية الهولوكوست كما قال: (أن الهولوكوست أكذوبة انتهى عمرها ومما لا شك فيه فان الذين يؤيدون قضية الهولوكوست الزائفة هم إما أفراد جاهلون أو بشكل متعمد ولأهداف خاصة يضخمون هذه الأكذوبة، وحسب اعتقادي أن كل من يؤيد هذه القضية هم شركاء مع الكيان الصهيوني في قتل الفلسطينيين).

وليس بيرج ولا توبن وحدهما بل حذا حذوهما القس نويها وزلر لأنه كتب كتابه الشهير: "داخل معسكر داخاو"(٢)، المشكلة الكبرى إن مضطهديه لا يستطيعون الادعاء عليه بالكذب لأنه كان نفسه معتقلاً في نفس المعسكر. وفي عام ١٩٨٨ تم طرد وإخراج أرنست زاندل الناشر الكندي من أصل ألماني من كندا بعد إقامته فيها لمدة أربعين عاماً

بتهمة انكاره الهولوكوست، فكان جزاؤه أن أدانته محكمة ألمانية في مدينة مانهايم بالسجن لمدة خمس سنوات، وهو الحكم الأقسى- والأشد في تاريخ محاكمة المتهمين بانكار الهولوكست.

وينضم إلى من سبقوه الكيميائي غرمار رودولف مؤلف كتاب : "تحقيق حول الهولوكوست" في عام ١٩٩٥ و الذى فر هارباً من ألمانيا ثم لبريطانيا ثم أمريكا لتتم إعادته إلى ألمانيا مرة أخرى عن طريق الصهاينة وهو الآن قابع في المعتقل ينتظر مصيره. بينما اضهدوا المؤرخ برنارد كنتيل لنشره سلسلة من المقالات كذب فيها مزاعم الهولوكست، أما أخر تلك المجموعة فهو جان بلانتين المحرر بمجلة تُدعى أكريبيا و الذى قضت محكمة فرنسية بسجنه لنشره أعمالاً اعتبرتها المحكمة تشكيكاً في المحرقة.

مازالت ذاكرة العالم تحتفظ بأسماء ضحايا ممن أقدموا على انتقاد المحرقة يأتي المفكر الفرنسي المسلم رجاء جارودي على قمتهم ، فكما يقول محمد حسين هيكل(٣): والحقيقة أن آخرين- قبل الاستاذ جارودي- حاولوا أن يقتربوا، من الموضوع، لكن (جارودي) تجاوز من سبقوه ، بالاحاطة الشاملة بكل الأساطير الاسرائيلية، بمعنى أن كل من سبقوه- وعلى الأقل في حدود ما أعلم- ركزوا على أسطورة واحدة في الغالب، ولعل أكثر التركيز كان على المحرقة النازية Holocaust التي تقول الأساطير الإسرائيلية أن ضحاياها من اليهود وحدهم وصلوا إلى ستة ملايين، وربما أن الضجة التي دارت حول هذه الأسطورة بالذات كانت مشادة بين الضمير أو الشعور بالذنب الأوروبي، وبين محاولة الضغط عليه وتعذيبه لصالح المشروع الصهيوني وكان من الطبيعي أن يحاول الضمير الأوروبي أن يبحث عن الحقيقة ويضعها في مكانها من التاريخ الإنساني، كما أنه كان طبيعياً من ناحية أخرى أن تحاول الحركة الصهيونية قصاراها لكي تضع إسرائيل في الموضع الذي أرادته لها على خريطة الشرق الأوسط!

وما إن صدر كتاب جارودي : "الأساطير المؤسِسة للسياسة الإسرائيلية" حتى رفضت كل دور النشر طبع الكتاب، بل حاصرت المنظمات الصهيونية صاحب مكتبة في سويسرا تجرأ ووزع الكتاب بعد أن طبعه جارودي على نفقته الشخصية دون تمويل من أي جهة ولو عربية، ثم أقاموا عليه دعوى فكان جزاؤه في عام ١٩٩٨ الحكم بالسجن لمدة أربعة أشهر وبغرامة مالية قدرها ٢٠ ألف دولار، ولا تزال تلاحقه عيون وأعوان اللوبي اليهودي في كل مكان يذهب إليه بل وهددوه بالقتل ومارسوا ضده أبشع وسائل الإرهاب الفكري، إذ بدأت الصحف شن حملات تشهير وانتقاد بشكل واسع، بل رفضت جميعها مضطرة أو مأمورة أو مذعورة مجرد نشر ردوده إعمالاً لحرية الرأي والرأي الأخر وهذا حق قانوني يحق لمن وُجِهَ له النقد أن يرد بنفس المساحة في ذات الصفحة من الجريدة، ولم يكتفوا بهذا بل مُنِعَ جارودي أيضاً من الظهور في الإذاعة والتليفزيون فيما يشبه الشكل القمعي بمصادرة الحريات والرهن الاعتقالي الذي يمارس مع بعض الساسة المغضوب عليهم ، وإمعاناً في ترهيبه وترويعه قامت أذناب الصهيونية المتواجدة بفرنسا بحرق واجهات المكتبات التي جاهرت وتجرأت وتحدت الستار الحديدي المفروض عليه وعرضت ذلك الكتاب ، ولم يكتفوا بهذا فقد شوهوا وجه موزع كتبه ليكون عبرة لكل من يحاول تكرار تلك الفعلة الشنعاء.

يقول هادي أحمد : (ولقد مثلت محاكمة جارودي في نظر الكثيرين منعرجًا في الحياة الفكرية والسياسية الفرنسية أصبح فيها لسلاح"معاداة السامية"معنى حقيقي وقانوني وردعي، وأسدل الستار بعدها وللأبد في الإعلام الفرنسي- وفي المنتديات الفكرية والسياسية على شخصية جارودي فقد دفن الرجل حيًّا على حد تعبير صديقه الأب ميشال ليلونج ، وتخلى عنه كل المقربين منه وانعزل في شقة قاصية في ضواحي باريس وربما حتى وفاته)(٤).

بينما من جانبها فسرت إيزابيل باير محامية جارودي اختفاءه عن الساحة الإعلامية الفرنسية التي قاطعته منذ سنة ١٩٩٥، قائلة: (بأنه لا يزال يعاني من آثار الضجة التي خلفها كتابه، والقضايا التي رفعت ضده بعد صدور هذا الكتاب).

لقد نال جارودي ما ناله لأنه دعم البحث العلمي وصحح المسار التاريخي بكتاب لم ينكر فيه المحرقة بل شكك كغيره من المؤرخين والعلماء السابقين عليه في أعداد الهالكين فيها وإن كان يُستشف منه في النهاية الإنكار، فهل هذا ما يتفق مع حرية البحث العلمي والحق كل الحق في التعبير عن الرأي ولو خطأ. مازلت أندد بالذين يتطاولون على مجمع البحوث الإسلامية وغيره من الجهات الرقابية التي تستخدم حقها في المنع أو المطالبة باستصدار الأمر بالمصادرة حماية للقيم المجتمعية لا لحماية طائفة دون أخرى.

أما آخر ضحايا المحرقة ــ حتى أوائل عام ٢٠٠٩ــ فهو الأسقف الكاثوليكي ريتشارد ويليامسون العائد إلى بريطانيا بلده قادماً من الأرجنتين مطروداً من قبل حكومتها، لأنه تجرأ وأدلى بتصريحات أنكر فيها الهولوكوست مما أثار ضجة واسعة، واعتبرت تصريحاته تلك معاداة للسامية؛ إذ ذكر الأسقف في مقابلة له مع التلفزيون السويدي:(أعتقد أن الدلائل التاريخية تخالف بقوة القول بأن ستة ملايين يهودي قتلوا بصورة متعمدة في غرف الغاز، ضمن سياسة مقصودة وضعها أدولف هتلر). ثم أتى بداهية الدواهي حين أضاف في تلك المقابلة التي تناقلتها المواقع الإلكترونية ووسائل الإعلام لاحقاً: (أعتقد أنه لم يكن هناك غرف غاز). والرجل كان من الشجاعة بحيث لم يسحب أقواله بالرغم من إنها ستعرضه للتوتر والصدام مع البابا التي طالبته المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل في وقت سابق بالرد بجزم على الدعوات المنكرة لقضية المحرقة اليهودية خلال الحرب العالمية الثانية، وقالت بحسم :(يجب على البابا والفاتيكان أن يوضحا بشكل قاطع بأنه ليس هناك إنكار للهولوكوست).

ولم يتأخر البابا عن تلبية طلب ميركل فقال خلال استقباله وفد من مؤتمر رؤساء المنظمات الأمريكية اليهودية الكبرى :(أن الهولوكوست شكل جريمة بحق الله والبشرية، ومن هذا المنطلق لا يمكن القبول بأي موقف ينفي حصول هذه الجريمة الفظيعة أو يقلل من شأنها)، وأضاف: (يجب ألا ننسى أبداً هذا الفصل المظلم من تاريخ البشرية، لأنه يشكل تحذيراً لنا، ويحثنا على العمل الدؤوب في سبيل المصالحة)، ثم اختتم حديثه: (إنني أرفع الصلاة إلى الله كي تقوّي هذه الذكرى الأليمة عزيمتنا على تضميد الجراح التي لطخت العلاقات بين المسيحيين واليهود)، بل وأكد لهم عزمه القيام بزيارة إلى إسرائيل، التي وصفها بـ "تلك الأرض المقدسة للمسيحيين واليهود على حدٍ سواء "، وبالطبع حصر قداسة الأرض فيمن ذكرهم ونفاها عن المسلمين، بحديث ودود مستعطف معتذر.

وشجع الكرم البابوي الحاخام شير ياشوف كوهين كبير حاخامات حيفا أن يطلب من البابا وهو معه في إجتماع في الفاتيكان:(هل يمكننا أن نقترح عليكم أن يكون التاريخ والتأثير الأخلاقي للمحرقة موضوعًا مقررًا ضمن مناهج الدراسة في المدارس الكاثوليكية في جميع أنحاء العالم، إن مثل هذا الإجراء سيعزز من موقفكم القوي ضد إنكار المحرقة وإعلان أن معاداة السامية خطيئة ضد الرب).

وكعادته مع اليهود وفي البابا بوعده لوفد المنظمات اليهودية الأميركية فقد أعلن خلال صلاة الأحد التالي للمقابلة أمام آلاف الزوار في الفاتيكان: من ٨ وإلى غاية ١٥مايو ٢٠٠٩، سأقوم برحلة حج إلى الأراضي المقدسة لأطلب من الرب نعمة الوحدة والسلام في الشرق الأوسط والإنسانية جمعاء. وكان البابا قد ناقش تحضيرات هذه الرحلة مع الوفد اليهودي، وهي زيارته الأولى التي يقوم بها إلى المنطقة، والزيارة الثانية التي يقوم بها حبر أعظم على الإطلاق لإسرائيل، فقد قام بالزيارة الأولى للبابا الراحل يوحنا بولس الثاني في عام ٢٠٠٠.

كما أعرب مبعوث البابا في إسرائيل أنتونيو فرانكو عن أسفه



للسجالات التي حصلت مؤخرًا بين الفاتيكان واليهود بسبب إنكار الأسقف ويليامسون للهولوكست، فقال:(أنه لا يمكن أن نكون كاثوليكيين وننكر المحرقة، بعدما تأكد بأوضح العبارات أنه لا مجال للنقاش حول هذه المسألة).

وأرجو ألا ننسى أن البابا بندكتوس السادس عشر كان قد زار معسكر أوشفيتز تلبية لرغبته الشخصية، وكان هذا ضمن زيارته الثانية بعد تسلمه كرسي البابوية : أما الأولى فكانت لبلده ألمانيا، والثانية كانت من نصيب بولونيا، بلد سلفه البابا يوحنا بولس الثاني، فبعد أن أمضى بها أربعة أيام ختمها بعد ظهر الأحد الموافق ٢٨/٥/٢٠٠٦، بزيارة إلى معسكر أوشفيتز، التي فشل فيها البابا فشلاً تاريخيًا وإنسانيًا وأخلاقيًا ــ على حد قول بديعوت أحرنوت في المقال التي نشرتها عنها جريدة "الحياة" اللندنية في ٣١/٥/٢٠٠٦ــ فقد وصل إلى المعتقل في سيارة ألمانية سوداء مصفحة، وألقى خطبة تثير الغضب، فتلفظ بكلمات رخوة مثل التسامح والتفاهم، وصلى من غير طلب الصفح والاستغفار عن الجرائم التي ارتكبها شعبه ، ثم أنه تكلم بالألمانية وهى عند بعض اليهود لغة القتلة، ولهذا كانت هذه مناسبة قوية ـ فيما أعتقد ـ لتصحيح أخطاء البابا في زيارته الأولى لمعسكر الإبادة سيعقبها نجاح أكبر بزيارته البابوية الأولى لإسرائيل.

و كلام ميركل أوبندكتوس السادس عشر ـ ليس غريبًا فالكل يعلم أنه محظور على الجامعات ومراكز البحث التاريخي والسياسي أن تتناول مسألة الهلوكوست بمنظور يخالف المسلّمات اليهودية أو الصهيونية كما تؤكد الجمعية العامة للأمم المتحدة على رفض أي إنكار كلي أو جزئي لوقوع المحرقة كحدث تاريخي ،وتحث الأمم المتحدة الدول الأعضاء على وضع برامج تثقيفية لترسيخ الدروس المستفادة من محرقة اليهود في أذهان الأجيال المقبلة واتخاذ اجراءات لتعبئة المجتمع المدني من أجل إحياء ذكرى هذه المحرقة.

لهـــذا



فالحكومات والمحاكم لا تسمح مطلقا بأي مقالة أو كاريكاتير أو أي مقابلة تلفزيونية أو أي كتاب يدعو إلى معاداة السامية، كما لا يجرؤ أي كاتب أو مؤرخ على إنكار الهولوكست ألا أولئك القلة التي تهورت وفعلتها فنالها ما نالها .

وبعد ما تقدم، ألا يخجل غثاء السيل من المسلمين ـ على كثرتهم ـ من فشلهم في فرض قانون تتبناه الأمم المتحدة، بحرمة وتجريم التعرض بكافة وسائل الإهانة والإساءة والازدراء لشخصية مقدسة عند الكافة ممن يدينون بدين الإسلام، في الوقت الذي يفلح فيه حفنة من شتات الأرض، والدول، أن يصدروا قانونًا دوليًا بتجريم من يتعرض لأكذوبة خلقوها؟

هوامش الفصل الثالث

(١) يقع معسكر أوشفيتز Auschwitz ، في جنوب بولونيا الحالية ، على مسافة٧٠ كلم غرب كراكوفي Cracovie منطقة تابعة الآن لبولونيا. وينقسم المعسكر إلى عدة أجزاء: أوشفيتز رقم واحد ثم بيركناو أو أوشفيتز رقم اثنان (الذي يفترض أنه كان مركز إبادة) ثم مونوفيتز Monowitz أو أوشفيتز رقم ثلاثة وهو مركز إنتاج صناعي ضخم كما كان هناك عدد من المعسكرات الصغيرة الملحقة بالمراكز الثلاثة.



(٢) أقامت النازية معسكرات أخرى إلى جانب معسكر أوشفيتز، مثل؛"ساكسنهاوزن"،"داخاو"، و"رافنزيروك ، غير أن معسكر داخاو ـ وداخاو مدينة صغيرة قريبة من ميونيخ ـ كان أول معسكر بناه النازيون لدى وصولهم الى السلطة في ١٩٣٣ للسجناء السياسيين .ثم تغيّر الغرض منه داخاو مع مرور الزمن، فأصبح أحد المعسكرات التي خصّصت لليهود، وتم اعتقال اكثر من مئتي الف شخص في هذا المعسكر ومات فيه اكثر من اربعين الف شخص من اليهود وغيرهم .

(٣) الأساطير المؤسِسة للسياسة الإسرائيلية ص ٧ تأليف رجاء جارودى دار الشروق ط ٤ ٢٠٠٢ .

(٤) الإسلام قاتل جارودي www.study4uae.com .

الفصل الرابع: حرية التعبير فقط ..لإهانة الإسلام

إن من يدافع الإساءات الغربية لديننا الحنيف، وقرأننا الكريم، ورسولنا الرحيم يرى أنها جاءت في خانة احترام الغرب لحرية الرأي والتعبير، وأن تصرف المسلمين وردة فعلهم تأتي دليلا على عدم قدرتهم على تقبل قيم الديمقراطية والحرية، وأن الغرب في تصرفاته السابقة وحتى القادمة المتوقعة لا يستطيع التخلي عن حريته وعلمانيته التي دفع من



أجلها دمه من أجل المسلمين.

وتأتى المادة (٧٧) من الدستور الدنماركي لتدحض هذه المقولة الواهمة ففي الوقت الذي تؤكد فيه وتشدد على أن من حق أي شخص أن يكتب وينشر ويقول أفكاره، بعيدًاعن أي نوع من الرقابة على الرأي وحرية التعبير، إلا أن نفس المادة نفسها لاتمنع المحاكم الدنماركية من محاسبة صاحب الرأي إذا ما انطوى رأيه على مخالفة لما نص عليه الدستور. فالدستور الدنماركي يجرم الإساءة إلى الأديان الموجودة على أرضه سواء بالسخرية أو السب، وتعاقب المادة المشار إليها المسيء للأديان بالغرامة أو السجن لمدة تصل إلى أربعة شهور. وكانت آخر مرة طبق فيها هذا القانون عام ١٩٨٣، وذلك في قضية تتعلق بنشرات إعلانية تفسر بعض آيات التوراة على أنها تحرض على الاعتداء على الفتيات غير اليهوديات.

وهذا ما يدحض جليًا زعم الحكومات الأوربية والمحاكم في أوربا بأنها لا تستطيع التدخل ومنع مثل هذه الإهانات ضد الأديان، فهي تدخلت ومنعت إهانة المشاعر الدينية للمسيحيين ـ كما عرضنا ومر بنا سابقا ـ بل أيضا استطاعت التدخل أيضًا وبحزم وحسم فيما يختص بالهولوكست ـ كما مر بنا أيضًا ـ .

لأنه مع وجود تلك المادة بالدستور الدنماركي لم يتمكن المسلمون ولن يتمكنوا من الاستفادة بمحاولة تطبيقها واقعًا ملموسًا، ولا حتى في ألمانيا سيتمكن المسلمون من حق صيانة عقيدتهم ضد الإهانات التي تلحق بها، ولا في أوربا خاصة والغرب عموما لأن مواد قوانين عدم إهانة الأديان مقصورة فقط على رفض إهانة الدين المسيحي واليهودي فقط، وأما ماعداه [الإسلام] فمباح ومأمور به ودون التعرض لعقاب أو أذى، لأن من سيعترضون ويلجأون للقضاء لن يجدوا أمامهم سوى عبارة: "هذا حق المواطن الغربي وغيره في ممارسة حقه في التعبير"، نعم، حق التعبير في إهانة الإسلام وكتابه الكريم ونبيه

صلى الله عليه وسلم.

وهذا ما بات معروفًا ومستقرًا في أذهان العامة والخاصة من العرب كافة والمسلمون خاصة وهي سياسة الكيل بمكيالين وازدواجية المعاييرالمقيتة، سواء كان هذا على المستوى السياسي أو الديني، مما أكد للجميع ـ سوى طبقة مهمشة من المـأجورين المحسـوبين على المشهد الثقافي والإعلامي ـ إفتقاد العدالة أواليأس بالأحرى من انتظارها.

ولهذا لم نُدهش من قيام المحاكم البريطانية عام ١٩٩١ بـرد الدعاوى الـتي أقامهـا مجموعة من المسلمين ضد سلمان رشدي عن كتابه: (الآيات الشيطانية)، وعندما لم يتم تنفيذ أي إجراء ضد "Claude imbert" مؤسس ومدير مجلة "Lepoint" المشهورة عندما صرح عام ٢٠٠٣: إنني ضد الإسلام، وأنا لا أشعر بأي حرج عند ذكر هذا. كمـا لـم ولن ندهش من محكمة باريس وهي ترفض رفض قاطع دعوى مقامة من مسلمي فرنسـا ضد الكاتب "Michl Houellebcq" الذي وصف الإسلام بقوله:(الإسـلام هـو أكـثر الأديان حماقة. وهي نفسها المحكمة التي أصدرت قـرارات عـدة تحـرم فيهـا إهانـة الديـن المسيحي).

بل جاء إباحة الإساءة للإسلام وإهانته بحكم محكمة بل وعـدت تلـك الإسـاءات حرية تعبير، لتؤكد ما ذهبنا إليه أنها حريـة تعبيرإهانـة الإسـلام، وذلـك حـين رفضـت محكمة هولندية في لاهاي الدعوى التي رفعهـا الإتحـاد الإسـلامي ضـد البرلمـاني اليميـني المتطرِّف جيرت فيلدرز منتج فيلم"فتنة" المسيء للقرآن الكريم، بـل ذكـرت المحكمـة في حيثيات حكمها: (إن بوسع أي سياسي هولندي أن ينتقـد الإسـلام ويقـارن بينـه وبـين الفاشـــية وأن يســـبَّ نـــبي المســـلمين محمـــد صـــلى الله عليـــه وســـلم). بل و زعمت المحكمـة أن هـذه المقارنـة تُعَـدُّ جـزءاً مـن حريـة التعبـير، وأضـافت: (إن تعليقات فيلدرزالتي تقارن الإسلام بالفاشية والتي صدرت عنه لم تحضَّ على الكراهية أو العنف، ويجب أن يكون بوسع البرلماني التعبـيرعن آرائـه حـتى لـو كانـــت

متطرفة).

في الوقت الذي لايستطيع الغرب يصفة عامة والأمريكيون بوجه أخص نقد اليهود إلى الحد الذي دعا الكاتبة الأميركية "جريس هالسل" أن تقول:(أن الأصوليين المسيحيين في أميركا مستعدون لتقبل نقد موجه لفرنسا أوإنجلترا، أو ألمانيا، أو إيطاليا، أو الولايات المتحدة، أو أي بلد آخر في العالم، لأن ذلك شأن سياسي، أما نقد إسرائيل فهو يساوي عندهم نقد الرب ذاته)(١).

يعلق محمد بن المختار الشنقيطي فيقول :(لقد آن الأوان لفهم الحقيقة المرة: إن إسرائيل التي نعتبرها آخر جيوب الاستعمار والعنصرية، هي في أذهان أغلب الأميركيين مشروع إلهي لا يقبل الإدانة والنقد، فضلاً عن المقاومة والنقض)(٢) .

وهو بطبيعة الحال ما يفسر ذلك الغضب العارم الذي ينزل فوق رأس من ينتقد الهولوكست أو ما يمت بصلة إلى الدولة العبرية الصهيونية إله الغرب وأمريكا الجديد.

يرى جمال سلطان من أن "التترس" الغربي بحكاية حرية التعبيرإنما هو نفاق سياسي وثقافي مكشوف، ويتناقض مع ممارساتهم هم أنفسهم في أمورمشابهة، وأتصورأن هناك تواطؤًا مقصودًا مع أمثال هذه الجرائم، بهدف اصطناع حواجز نفسية وثقافية وعنصرية بين ملايين المسلمين في الغرب وبين بقية مجتمعاتهم الغربية الجديدة، كأحد وسائل منع أو تحجيم انتشار الإسلام بين المواطنين الأوربيين، خاصة بعد تعدد التقارير الاستخبارية التي تتحدث عن تهديد انتشارالإسلام لثقافة أوربا مستقبلاً، وهو ما ألمح إليه وزير الخارجية الدينماركي أمام لجنة الأمم المتحدة عندما قال: (لدينا مشكلة ثقافية، ولن نسمح بوجود طالبان أخرى في بلادنا !)(٣).

بينما يتساءل محمد سلماوي في دهشة من موقف الغرب المتناقض إزاء حرية التعبير وكيف يستسيغه العقل المسلم ، فيقول: (كيف للمسلمين أن يقتنعوا بهذا التقديس الذي

تكنه الحضارة الغربية، لمبدأ حرية التعبير، وهو المبدأ الذي يختفي تماما إذا تعلق الأمر بما يطلق عليه الغرب العداء للسامية؟ كيف يقبل الضمير الإسلامي أن العداء للدين مقبول ومشروع تحميه قوانين حرية التعبير لكن العداء للسامية مجرم بالقانون أيضا ويساق من تثبت عليه تهمته إلي السجن؟ فليجاوبنا الغرب على ذلك إن كان يريد فعلا لعاصفة الغضب هذه أن تهدأ)(٤).

ويوقظنا عادل حمودة(٥) من غفوة جهلنا بالإساءات الدائمة والمتكررة واليومية بصحافة الغرب لرسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم وهي سابقة على الرسوم الدنماركية بل وأقسى منها بكثير، فيقول :(وليس صحيحاً أن صحف الدنمارك هي التي بدأت تلك السخرية المؤلمة أو هي وحدها التي تنفرد بها ، فما نشرته من رسومات يعد قطرة في بحر، شجرة في غابة، نقطة مطر في سماء ملبدة بالغيوم، فلا توجد صحيفة واحدة في الغرب لم ترتكب تلك الخطيئة الفاضحة إن باب "اضحك مع محمد" باب ثابت في كثير من الصحف النيوزيلاندية ..ويحتاج هذا الباب منا إلى أعصاب قوية ونحن نتأمل رسوماته..فهناك كاريكاتير يصور رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يمسك برأس رجل قطعها بسيفه، ويقول : "لو كانت هناك شكوى رسمية بعد الهجرة فأنا مستعد لحلها"،وواضح أن الحل الوحيد لكل من يشكو، قطع رقبته، وهناك كاريكاتير آخر يصوره في حوار بينه وبين امرأة منتقبة وهو يقول لها في صرامة "فلتعلمي أن أغلب أهل النار من النساء اللاتي لا يرتدين البرقع"، وهناك كاريكاتير ثالث يصوره وخنجره مغروس في رأس رجل مسلم فوقه شعار الهلال والنجمة ويقول له:"هيه.. هذا هو شعارنا الإسلامي اللطيف" ـ يقصد القتل بالسلاح الأبيض ـ، وتبدو صحف التابلويد البريطانية أكثر تطرفا وجنوحا من ابنة عمتها النيوزيلاندية، فنجدها تخترع شخصية تسميها "مو" اختصارًا لاسم "محمد "وسخرية منه تصوره بلحية وعمامة وكأنه أحد شخصيات ألف ليلة، وآخر ما نُشر رسم لتلك الشخصية وهي تقف عارية إلا من النصف السفلي من الملابس الداخلية، يسأله رجل

بجانبه: "قل لي يا (مو) ما حكاية كل هذا الغضب بسبب هؤلاء الذين رسموك في الدنمارك؟..فكان الجواب : أنا قدوة للملايين الذين ينظرون إلىّ على أنني أنموذج مثالي للرجولة ولابد أن رسمي يقلل من هذا الكمال"، ولا نستطيع أن نكمل الكاريكاتير، فقد غاص في مستنقع البورنو والبذاءة. إن تلك العينة الوقحة من الرسومات الساخرة هي أسهل ما عثرنا عليه على شبكات الإنترنت، وربما كانت رسومات صحيفة يولاندس بوست الدنماركية التي فجرت تلك الأزمة- رغم سخافتها- أرحم منها،ويضبف حمودة قائلاً :(فكأن الجريمة البشعة التي تُرتكب في حق رسول الله هي جريمة عالمية منظمة، تعكسها كراهية المسلمين، وتشعلها الحرب الصليبية التي تُشن ضدهم باسم مقاومة الإرهاب والقضاء عليه، وهي في الحقيقة حرب ضاعفت من الإرهاب وزادت منه).

وحتى الكادرينال المثقف المستنير الدكتورهانس كينج (٦)، صاحب كتاب "المشترك بين الثقافات" أبى إلا أن يسهم بسهمه في الافتراء على الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم، فقال:(لا شك أن مسألة العنف هي مشكلة رئيسية في الإسلام، وأن النبي محمدًا لم يكن رجل دولة فحسب، بل كان أيضا قائدا عسكريا "جنرالا"!،خاض حروبًا عسكرية، وأن هناك عصرًا مبكرًا في الإسلام قد تم فيه واقعيًا محو المسيحية من الوجود في بلادها الأصلية! (٧).

حتى وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة كوندوليزا رايس، نددت بمحاولات منظمة المؤتمر الإسلامى تجريم الإساءة للأديان، زاعمة أن ذلك : (يسعى للحد من حرية التعبير وقد يؤدى إلى تدنى مستوى حريات المعتقد فى العالم). وأضافت خلال استعراضها نتائج تقرير سنوى صادر عن وزارة الخارجية الأمريكية يعرض وضع الحريات الدينية فى العالم بين يوليو ٢٠٠٧ ويوليو ٢٠٠٨ :(إننا قلقون من محاولات الترويج لمفهوم

الإساءة إلى الديانات هذا الذى صدرت بشأنه قرارات عديدة فى الأمم المتحدة). الجدير بالذكر والمثير للغرابة والاستفزاز معًا أن تقرير وزارة الخارجية الأمريكية عن وضع الحريات الدينية فى العالم لم يتطرق مطلقًا للإساءات التى يتعرض لها المسلمون ورموزهم الدينية فى مختلف دول العالم وبخاصة فى أمريكا وأوروبا، وركز التقرير فقط على ما زعم أنه "تدهور الحريات الدينية" في الجزائر ومصر والأردن والسعودية والسودان وأوزبكستان، على الرغم من أنه أشار إلى ما سماه "بعض التقدم" في السعودية!، يا سلام على الدقة والمهنية ، والمنهجية العلمية، والحيادية ، والنزاهة."بعض التقدم" في مجال الحريات يرصدونها، وأكثر التقدم في الإساءة يبلعونها، ويعمون عنها، أعمى الله قلوبهم وأبصارهم أكثر فأكثر.

ولأن التقرير لم يتطرق للإساءات التي يتعرض لها المسلمون في كل مكان على وجه البسيطة فهو يؤكد ما أسميناه حرية التعبير في الاستهانة بالمسلمين وتوجيه الإهانة والإساءة لهم أينما كانوا، وهو الأمر الذي يجمله ويؤكد عليه الدكتور سعيد اللاوندي (٨) ، فيقول:(انطلاقا من كل هذه الوقائع فالثابت أن الحديث عن حرية الفكر هو"حديث إفك" وكلمات حق يراد بها باطل، لأن ازدواجية المعايير التي يرتع فيها الغرب السياسى تُمارس فقط ضد الإسلام والمسلمين)، كما يرى اللاوندي أن إصرار كثير من الصحف الأوروبية على نشر الرسوم المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم وتداول ظهورها بينهم هو مايؤكد بلا شك أنه نية مبيتة من الغرب لتدويل الأزمة انتهاءً بصدام حضاري تصديقا لمقولة هينتجتون.

لقد أخطأت المحكمة الهولندية خطأً بينًا حين أعطت حق هي لاتملكه لأحد مواطنيها بأن يسب أو ينتقد نبيًا يعتقد غيرهم بنبوته وإن لم يؤمنوا به، فهذا النبي ليس هولنديًا لكي تسمح له بأن يتناوله بالسباب، والحجة الواهية: "أنه برلماني"! وأقول لهذا القاضي المتجاوز: لقد تعلمنا أن حريتك تنتهي حين تبدأ حرية الآخرين، فكيف تمتطي صهوة جهلك وغرورك وسبابك لتدوس وتجوس خلال عقيدة غيرك، بل أزيد فأقول: لو كنت أيها القاضي رجلاً فاسمح لهذا البرلماني الأخرق بأن ينتقد الدولة العبرية وسياستها في فلسطين، وإن كنت رجلاً أكثر فلتبح له أن يجاهر برأيه تحت قبة البرلمان الهولندي وستعلم وقتها أن من أدعى الفحولة والرجولة على نبي الإسلام لن يفعل ولو حتى أقسمت له أنك ستحميه من قانون معاداة السامية، لأنه حين يسب دين وكتاب الإسلام المقدس ـ القرآن الكريم ـ إنما يفعل هذا وهو يسترضي سادته من بني صهيون ويستظل بحمايتهم، فهى حرية زائفة يحميها قضاء زائف، فأقنعة الحرية والديمقراطية والمساواة والعدل سقطت وسقط معها كل ما كان يبهرنا في غربكم الزائف المتحامل الحاقد.

وليصمت من الآن وللأبد عقلاؤنا الذين دلسوا علينا بل وتبرأوا من جهلنا بعلمنة الغرب وحرية التعبير فيه، وأخذوا يزبدون ويرغون كلما تكلمنا عن الحرية المسئولة فيصرخون في وجوهنا: تريدونها دولة بوليسية، هل سترتدوا بنا إلى القرون الوسطى، هل تصادرون الفكر؛ إنما يحارب الفكر بالفكر: فلتطبقوا أنتم أيضاً أفواهكم إلى الأبد مثل أسيادكم في الغرب تماماً، لقد انكشفت الألاعيب الديمقراطية، فأهل الغرب يثورون ويمنعون ويحاصرون ويحاكمون ويسجنون ويصادرون الكتب ويحطمون من يحاول الازدراء برموزهم الدينية بل وزعمائهم السياسيين فقط.

ألا فليعلم الجميع أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أكبر وأجل وأعظم من كل باباواتهم وملوكهم ورؤسائهم ومحرقتهم، وسندافع عنه بكل غالٍ ضد كل من يخرج ألسنته

بالإساءة إليه صلى الله عليه وسلم، سواء في الشرق والغرب.

هوامش الفصل الرابع

(١)يد الله جريس هالسل ط ١ دار الشروق ٢٠٠٠ص ٨٠.

(٢) كاتب موريتاني مقيم بالولايات المتحدة.الجزيرة :٢٠٠٤/١٠/٣.



(٣)المصريون /٣/٢٠٠٨ .

(٤) الأهرام المصرية 27 فبراير2006 .

(٥)الفجر العدد ٢٦- الاثنين ٦/٢/٢٠٠٦.

(٦) البروفيسور هانس كينج أكبرشخصية دينية سويسرية في عصرنا هذا. ولد في لوزان بسويسرا سنة ١٩٢٨، ودرس الفلسفة وعلم اللاهوت في روما، ثم حصل على الدكتوراه في اللاهوت من باريس سنة ١٩٥٧. ويعمل كينج كأستاذ كرسي في جامعة تيبينجن في ألمانيا منذ سنة ١٩٦٠. والأستاذ كينج هو شخصية عالمية مرموقة في حقل حوار الأديان،فهو الألماني اللغة، الايطالي الفرنسي الدراسة، الكوني العقيدة، المؤمن بأنه لا سلام بين القوميات من دون سلام بين الأديان ولا سلام بين الأديان بغير حوار فيما بينها، ولا حوار إلا بالتحقق من أسس الأديان وقد ألقى محاضرات في جامعات كندا وأمريكا وآسيا وأفريقيا واستراليا. وبلغت مؤلفاته أكثر من٥٠ كتاباً، من أهمها: الله والألم / الكنيسة / حرية المسيحي / حوار يهودى ــ مسيحي / المسيحية والأديان العالمية / فرويد ومستقبل الدين / اليهودية. وقد ترجمت معظم أعماله إلى عشرين لغة مختلفة من لغات العالم، كما ظهرت حتى الآن ست دراسات عنه.

(٧) د. محمد عمارة : في الحقبة الصليبية المعاصرة ،المصريون في ٢٨ - ١٢ – ٢٠٠٨.

(٨)فوبيا الإسلام في الغرب كتاب اليوم أبريل ٢٠٠٦ ص٩.

وختاماً : اعرفوه قبل أن تسيئوا

و يا ليت من أساؤوا أو ينوونها قرأوا ما كتبه المنصفون من أبناء جلدتهم أو تجشموا قليلاً من العنت فامتدت أيديهم إلى أحد الكتب أو المواقع التي تتناول سيرته صلى الله عليه



وسلم وهى كثيرة بحمد الله وبكافة اللغات، فلا عذر لمسيء لأنه لا يعـذر الجاهـل بجهلـه وقنوات العلم أمامه مترعة يستطيع أن يرتوي بيسرٍ منها، فإن لم يهتـد للإسـلام فـلا ضـير ولكن سيكون أمامه الحكم الصحيح من واقع الرؤية الصحيحة.

يرى عبد النبي اصطيف (١): أنه ل اعذر للغرب بجهله للإسلام ورسول الإسلام صلى الله عليه وسلم خاصةً وقد شهد القرنان الأخيران جملـة مـن التطـورات كان يفـترض بهـا أن تصحح هذه الصورة وتجعلها أكثر موضوعية ونزاهة وقربا من واقع الحال، مثل :

أ- الاطلاع المتنامي للغرب على المصادر الإسلامية للسيرة النبوية، وذلك بعد تحقيق الكثير من المؤلفـات العربيـة والإسـلامية على يـد المستشرـقين الغـربيين في البدايـة، والبـاحثين المسلمين لاحقا، وفي مختلف اللغات الشرقية، ونشرها.

ب- الاحتكاك الشامل مع الشعوب الإسلامية في فسح أكثر إنسانية ولا سيما في ظل تطـور وسائل النقل والاتصال الحديثة التي يسّرت تواصلاً يوميًا ومباشرًا بـين الغـرب والشرـق لـم تعرفه القرون الخالية. وأكثر من هذا فقد باتت معظم المجتمعات الغربية تحتضن جاليـات مسلمة وطنية ووافدة، وغدت أكثر معرفة وألفة للإسلام دينًا وثقافة وتاريخًا وطريقة حياة.

ج- اطلاع الباحثين الغربيين على كتابات المسلمين الحديثة عن السيرة النبوية، سواء أكان ذلك باللغات الشرقية، أم باللغات الغربية التي ترجمـت إليهـا أو كتبـت فيهـا؛ فضـلا عـن إلمامهم بما أنتجه المسلمون مـن نقـد ومـا أخـذوه عليهـا مـن عيـوب ونـواقص لكتابـات المستشرقين والغربيين عامة عن النبي صلى الله عليه وسلم وثغرات منهجية ومعلوماتية.

د- التطــورات المهمــة الــتي حققتهــا تقاليــد كتابــة الســيرة



"biography" وطرائقها بشكل خاص، ومختلف العلوم الإنسانية المساعدة بشكل عام، أو عن التأثير فيها والتي يبدو أنها ظلت بعيدة عن ملامسة كتابة سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم على النحو المرجو، ولاسيما بعد تبيّن بعض المتنوّرين الغربيين ما تنطوي عليه شخصية النبي صلى الله عليه وسلم من عبقرية وتفوّق وعظمة وقيم سامية.

هـ- التطورات الهائلة التي حققتها الحقول المعرفية المتصلة بدراسة ثقافة " الآخر The Other " وتاريخه ومجتمعه، ولاسيما بعد التأثير الواسع الذي ولّدته منظورات متقدمة معرفيًا ومنهجيًا وفكريًا، مثل منظور إدوارد سعيد وكتاباته عن صلات الشرق بالغرب والثقافات المولّدة وغيرها، مما انعكس إيجابيًا في دراسات الغرب عن الآخر، ولكنه لم يمسّ بعمق دراسات هذا الغرب عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وأضيف إلى ما سبق الفيلم الوثائقي "محمد: ميراث نبي" الذي يتحدث عن سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام بشكل تفصيلي يستغرق ساعتين،وقد عرضته قناة PBS وهي قناة رسمية واسعة الانتشار على مستوى الولايات المتحدة الأميركية، وأعده "مايكل وولف وأليكساندر كرونيمير" ألم يشاهده أحد ممن طمس الله على قلوبهم فرسموا، وصوروا فيلمًا مسيئًا للرسول صلى الله عليه وسلم؟

ألم يقرأوا ـ وهم المشهورون بالقراءة ـ قول المفكر الإيرلندي الشهير برنارد شو عن الإسلام، ورسوله صلى الله عليه وسلم (٢):(إذا كان لديانة معينة أن تنتشر في انجلترا، بل في أوروبا، في خلال مئات السنوات المقبلة فهي الإسلام. لقد نظرت دائما إلي ديانة محمد بأعلى درجات السمو بسبب حيويتها الجميلة، إنها الديانة الوحيدة في نظري التي تملك قدرة الاندماج في هذه المرحلة من مراحل البشرية بما يجعلها جاذبة لكل عصر.لقد درست تاريخ حياة محمد، ذلك "الرجل العظيم"، وفي رأيي يجب أن يطلق عليه لقب "منقذ البشرية"، إنني

أعتقد أنه إذا قدر له أن يتولى مسئولية قيادة العالم، فلاشك أنه سيستطيع حل مشكلاته وإقرار السلام والسعادة، لقد تنبأت بأن عقيدة محمد ستكون مقبولة لأوروبا غدًا كما هي مقبولة لأوروبا اليوم).

وبرنارد شو لم يمنعه إلحاده من الإعجاب بشخص وحياة الرسول صلى الله عليه وسلم الجهادية المناضلة، التي طمح أن يتمثلها، كما هم بكتابة مسرحية عنه صلى الله عليه وسلم. فقد كان ينبذ التعصب، ويكره افتئات رجال الدين في حقبة العصور الوسطى على شخص رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، حيث قال:(إنّ رجال الدين في القرون الوسطى، ونتيجةً للجهل أو التعصّب، قد رسموا لدين محمدٍ صورةً قاتمةً، لقد كانوا يعتبرونه عدوًّا للمسيحية، لكنّني اطّلعت على أمر هذا الرجل، فوجدته أعجوبةً خارقةً، وتوصلت إلى أنّه لم يكن عدوًّا للمسيحية، بل يجب أنْ يسمّى منقذ البشرية، وفي رأيي أنّه لو تولّى أمر العالم اليوم، لوفّق في حلّ مشكلاتنا بما يؤمن السلام والسعادة التي يرنو البشر إليها).

ليت من أساء تمثل ما قاله الكونت بولان فيلييه عن رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم: (أنه أداة الله التي قضي بها علي العبادة الباطلة وأحل محلها العبادة الحقة) (٣).

حتى أن فولتير تأثربما كتبه بولان فيلييه ، الأمر الذي حدا به أن يكتب على لسانه دفاع عن الإسلام ورسول الإسلام صلى الله عليه وسلم، فقال:(إن أقل ما يقال عن محمد أنه قد جاء بكتاب وجاهد، أما عيسى فلم يترك شيئًا مكتوبًا ولم يدافع عن نفسه، لقد امتلك محمد شجاعة الإسكندر الأكبر وحكمة توما، أما عيسى فقد نزف دمًا بمجرد أن أدانه قضاته. والإسلام لم يتغير قط، أما أنتم ورجال دينكم فقد غيرتم دينكم عشرين مرة(٤) .

أما تولستوي الذي دفع ثمن مجاهرته بالحق فحرمته الكنيسة بسبب آرائه، حين قال:(أنا



واحد من المبهورين بالنبي محمد الذي اختاره الله الواحد لتكون آخر الرسالات على يديه، وليكون هو أيضًا آخر الأنبياء، ويكفيه فخرًا أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق، وجعلها تجنح للسكينة والسلام، وفتح لها طريق الرقي والتمدين).

يقول رودي باريت"Rudi Paret":(لقد كان النبي محمد هادفًا ومتَّسِق التصُّرف منذ تجربة الوحي الأولى في الغاية التي لم يَحِد عنها طوال حياته، وهي هداية بني قومه من العرب إلى الإيمان الصحيح)(٥).

باليت من أساؤوا سمعوا وتأملوا مقاله الكاردينال" ترانكون" مطران مدريد ورئيس أساقفة أسبانيا في افتتاح الملتقى الثاني لجمعية الصداقة الإسلامية المسيحية (٦): (كيف يستطيع المسيحي أن يقدر الإسلام والمسلمين، دون تقدير نبيهم والقيم التي بثها ولا يزال يبثها في حياة أتباعه؟ إن ذلك سيكون دليلاً على عدم المحبة، وعلى عدم احترام هؤلاء المسلمين الذين يجب أن ننظر إليهم بعين التقدير. أليس الإصغاء إلى ما تقوله العقيدة الإسلامية عن محمد هو أحسن سبيل إلى الاقتراب بكل احترام ومودة من إخواننا المسلمين. لن أحاول هنا تعداد قيم نبي الإسلام الرئيسية : الدينية منها والإنسانية، فليست هذه مهمتي، غير أني أريد أن أبرز جانبين إيجابيين ـ ضمن جوانب أخرى عديدة ـ وهما : إيمانه بوحدة الله، وانشغاله بالعدالة: أما إيمانه بالله الأحد فهو سمة رسالته وحياته، أنها أهم عقيدة تركها لأمته؛ فالشهادة بوحدة الله وجلاله هي إحدى القيم الإنسانية التي لا تزال حية في عالمنا).

وأضاف الدكتور"نوجا ليس" الرئيس المسيحي للجمعية وعميد كلية الآداب(٧): (أن محمدًا ليس إنسانًا أي إنسان، بل هو إنسان أثرى بالقيم الإنسانية والدينية التي تركت

أعمق الأثر في التاريخ. إنه واحد من هؤلاء الرجال الذين خصصهم الله لدعم القيم الدينية والروحية للإنسانية. إن محمدًا له من الأبعاد الإنسانية والتاريخية ما يستحق معه احترامنا وتقديرنا. خاصة إذا أخذنا في الاعتبار تاريخه بكل أبعاده وسعته على أنه تاريخ الخلاص. ولكي نقيم نبي الإسلام يجب علينا أن ننطلق من عامل أساسي وهو أنه بالنسبة للمسلمين ليست هناك قيم إسلامية لا تتعلق بمحمد. وطبقًا للدين الإسلامي فإن محمدًا هو الرجل الذي اختاره الله لكي ينقل قيم الإسلام. كما أن الاستجابة التي ينتظرها الله من المؤمنين هي الاستجابة الإسلامية، والتي ليست في جوهرها أكثر من الاستسلام الكامل لله. لذلك لا يمكن احترام وتقييم الإسلام والمسلمين تاركين محمدًا جانبًا فهو مفتاح كل القيم الدينية والإنسانية، لقد حانت اللحظة لتغيير العقلية تجاه محمد وما يمثله بالنسبة للمسلمين. إن محمدًا ـ كما يعتبره المسلمون ـ هو المثل والمثال لكل الفضائل الإسلامية وهو الذي يلهم القيم السامية. وهم يكادون لا يقبلون فضيلة غير موجودة به ومحمد مثال المسلم الكامل والمؤمن الكامل الذي يسلم لله، ويجب على المسيحي أن يعترف بقيمة محمد هذه بالنسبة للمسلمين، اليوم لا يجوز الإساءة إلى نبي الإسلام كما حدث في الماضي لأن ذلك ضد محبة القريب وضد احترام العقائد والحياة الروحية للآخرين وضد التعايش الجماعي بين الطوائف المختلفة في المجتمع الحديث) (٨).

أما دي سلان ماك غوين (٩) ، فيقول : (إن العرب أمة تمتاز بكثير من الصفات ، ولها دين جامع شامل، لا يعيبه إلا من يجهله، وصاحب دينهم محمد الفقير، وقبل أن نعرف الدين يجب أن نعرف من أتى به، وحقا أقول ليس كمحمد في سلسلة الأنبياء، ولا كشريعته في سلسلة الشرائع، لا نبالغ إذا قلنا إن محمدًا خير من أتى بشريعة، ولقد وقف في وجه الطغاة من قريش، حتى أتم ما أراد، وبلغ منتهى الطريق الذي سلكه وعمل له، وإذا به وبشريعته يتمتعان بذكر عاطر وحديث حسن، وليس باستطاعتنا أن نثير عليهما غبار

الانتقاص (١٠).

كما ذكر المستشرق السويسري ماكس فان برشم (١١) في معرض حديثه عن دور النبي محمد التاريخي العظيم في حياة العرب والشعوب التي دخلت في الإسلام ، فارتقت من وهاد الضلالة إلى معارج النور والحضارة، يقول في كتابه "العرب في آسيا":(إن محمدًا نبي العرب من أكبر مريدي الخير للإنسانية، وإن ظهور محمد للعالم أجمع إنما هو أثر عقل عال، وإن افتخرت آسيا بأبنائها فيحق لها أن تفتخر بهذا الرجل العظيم، إن من الظلم الفادح، أن نغمط حق محمد الذي جاء من بلاد العرب وإليهم، وهم على ما علمناه من الحقد البغيض قبل بعثه، ثم كيف تبدلت أحوالهم الأخلاقية والاجتماعية والدينية بعد إعلانه النبوة، وبالجملة مهما ازداد المرء إطلاعًا على سيرته ودعوته إلى كل ما يرفع من مستوى الإنسان، إنه لا يجوز أن ينسب إلى محمد ما ينقصه، ويدرك أسباب إعجاب الملايين بهذا الرجل ويعلم سبب محبتهم إياه وتعظيمهم له).

يقول الباحث الإنجليزى لايتنر(١٢):(إني لأجهر برجائي بمجيء اليوم الذي به يحترم النصارى المسيح احترامًا عظيمًا وذلك باحترامهم محمدًا، ولا ريب في أن المسيحي المعترف برسالة محمد وبالحق الذي جاء به هو المسيحي الصادق (١٣).

هل قرأ من أساء قول الدكتور الفرنسي فارنند برودال(١٤):(إن التهجمات ضد محمد أو ضد القرآن، هي ولاشك أقل حجة و إقناعا من إلحاح المسلمين وتركيزهم على إنسانية المسيح. وهي طريقة لإنكار إلوهيته ورفض التثليت والتي بمفردها تعد نفيا لوحدانية الله).

ليتهم سمعوا كلام عقلائهم لأراحوا واستراحوا، فهل من حرية التعبير أن يعتدوا على ما يعتقده الغير وخاصة الإسلام وعلى وجه الخصوص سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم العف الحليم الودود.

لقد صدق العقاد حين قال(١٥):(إن تصوير إنسان مقدس بالصورة التي تنزع عنه القداسة أيسر جدًا من عناء الدراسة في نقض العقائد وإدحاض الأفكار، إنها مهارة رخيصة تنجح بقليل من الجهد، إذ تعتمد على سهولة الإصغاء إليها في طبائع الجهلاء والأغرار، ولكن خبرًا صادقًا عن الرسول عليه الصلاة والسلام قد ينكشف للإنسان الغربي فيهدم مئات الأخبار الكاذبة التي لفقها المبشرون).

ومن الآن فليكن شعارنا ـ كمسلمين في كل مكان ـ إننا نعبد الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، و لا يعنى هذا أننا نشترى العداوات أو نفرض على غيرنا ديننا بالإكراه وكما قال الشيخ محمد الغزالي(١٦): (فليعبد من شاء ما شاء! وليتركنا تحت شعار التوحيد نحيا وإلى نهجه ندعو. ليست الإنسانية المزعومة أن تجمع الواحد الذي أؤمن به مع الثلاثة التي تؤمن بها فيكون الحاصل أربعة، يؤمن كل منا باثنين على التساوى، وبذلك تتحقق العدالة! هذا أيضا جنون، الإنسانية المحترمة أن أظل على وحدانيتي، وتظل إن شئت على شركك وتظلنا مشاعر البر والعدالة والتعاون الكريم.

لن أجعل حقي باطلاً لترضى، ولن يعنيني سخطك آخر الدهر إذا حنقت بي، وأنا أؤمن بأن النبي العربي أشرف من مشى على الثرى وأن أمجاد البشرية كلها التقت في شخصه، وأن تراث النبوات من بدء الخلق إلى الآن موجودٌ في كتابه وسنته، وأن تعاليمه نسيجٌ محكم من الوحي الأعلى تزدان الأجيال به وترشد، أن محمدًا بشرٌ له منهاجه المرسوم من وحى الله. فنحنُ نتبعه لِنُرْضِي ربنا ولنقف في محراب عبادته راغبين راهبين، و ستبؤ بالفشل

جميع المحاولات لإبعادنا عن محمد وصرفنا عن رسالته).

نعم ونحن نؤمن بأن سيدنا ومولانا وربيع قلوبنا سيد الأولين والآخرين، وأغلى على كل مسلمٍ مؤمن موحد من نفسه ووالديه وبنيه وبكل غالى نفتديه، وأغلى أمانينا أن يجمعنا الله به كما جمع بين الروح والجسد في الفردوس الأعلى من الجنة، وأن يسقينا بيده الشريفة شربة ماء هنيئة مريئة لا نظمأُ بعدها أبدًا من حوضه المورود، وأن يرزقنا شفاعته صلى الله عليه وسلم. وليكن شعار كل مسلم ضد كل من يحاول النيل منه أو إقصائنا عنه صلى الله عليه وسلم ستبؤ بالفشل جميع محاولاتكم الدنيئة والرخيصة بإبعادنا عن نبينا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وصَرّفنا عن رسالته، لا في هذا الجيل ولا أجيال تأتى بعده إلى قيام الساعة إن شاء الله.

هوامش الفصل الختامي

(١) صورة النبي محمد صلى الله عليه وسلم في الكتابات الأنكلوـ أمريكية : مقدمة



منهجية ونماذج مجلة التسامح العدد الثانى.

(٢) برناردشو: مقال الإسلام الحقيقي، عام١٩٣٦.

(٣)هنري دي بولان فلييه (١٦٥٨ – ١٧٢٢): مؤرخ فرنسي، كتاب "حياة محمد" عام ١٧٣٠.

(٤) فولتير: الأعمال الكاملة ج١٦، صـ ٣٨٥ .

(٥)أحد أهم المستشرقين الألمان المعاصرين«محمد والقرآن، دعوة النبي العربي ورسالته»، والذي صدرت ترجمته مؤخرا من ضمن مشروع «ترجم» التابع لمؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم (ترجم النص عن الألمانية وراجعه على مصادره د.رضوان السيّد.

(٦) العلاج بالشعر وأوراق أخرى فاروق شوشة دار المعارف ١٩٨٢ص ٧٢ـ٧٣.

(٧) والقصد بالرئيس المسيحى أن لجمعية الصداقة الإسلامية المسيحية رئيسان مسلم و مسيحى،فكان الرئيس المسيحى دكتور نوجاليس بينما كان الرئيس المسلم آنذاك الدكتور أحمد هيكل وزير الثقافة الأسبق و كان يشغل منصب مدير المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد في شهر مارس من عام١٩٧٧وقت انعقاد الملتقى الثاني للجمعية بقرطبة (المؤلف) .

(٨) المصدر السابق ص ٧٤ـ ٧٥.

(٩) دي سلان ماك غوين ، مستشرق فرنسي (١٨١٠ـ ١٨٧٩)،وضع فهرس المخطوطات الشرقية ، وترجم لمقدمة ابن خلدون ، تناول فيها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في إطاره التاريخي ، والشريعة الإسلامية السمحاء ، فوجده متقدماً على أقرانه من الرسل ، ووجد الإسلام متميزاً عن باقي الشرائع.

(١٠)الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة ص ١٧٠ .



(١١)فان برشم (١٨٦٣ـ ١٩٢١)، اهتم بالإسلام منذ كان يعد موضوع أطروحته لنيل الدكتوراه " ضرائب الأراضي في الإسلام "في لا يبزج بألمانيا ، درس اللغتين الأكادية والعربية،واهتم بالنقوش والدراسات العربية .وله أكثر من ٥٠٠٠ صورة عن الآثار الإسلامية التي يحتويها اليوم أرشيف متحف مؤسسة ماكس فان برشم في مدينة جنيف موطنه.

(١٢) عن كتاب: دين الإسلام لايتنر، ص ٤ – ٥.

(١٣) لايتنر lightner باحث إنكليزي، حصل على أكثر من شهادة دكتوراة في الشريعة والفلسفة واللاهوت، وزار الأستانة عام ١٨٥٤، كما طاف بعدد من البلاد الإسلامية والتقى برجالاتها وعلمائها.

(١٤) مقدمة كتاب "الموريسكيون الأندلسيون و المسيحيون: المجابهة الجدلية للدكتور الفرنسي لويس كارדياك ص١٦.

(١٥)ما يقال عن الإسلام ص ٢٠٧.

(١٦) هموم داعية ص ١٠٢ ـ ١٠٣.

ثبت بأهم المراجع

أولاً : القرآن الكريـــــــم .

ثانياً : كتب السنة الصحيحة الواردة بالهوامش والحواشي.

ثالثًا : المصادر والمراجع التالية :

ـ ابن حزم: جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى،دار المعرف مصر .

ـ ابن كثير: البداية والنهاية، الجزء الخامس .

ـ باسم خفاجي (دكتور) :لماذا يكرهونه؟! الأصول الفكرية لموقف الغرب من نبي الإسلام،ط٢مجلة البيان .الرياض أكتوبر ٢٠٠٦.

ـ جلال أمين(دكتور) : عصر التشهير بالعرب والمسلمين. مكتبة الأسرة/دار الشروق٢٠٠٤القاهرة.

ـ جلال القصاص:الكذاب اللئيم زكريا بطرس ط٢.القاهرة ٢٠٠٧.

ـ جريس هالسل : يد الله، ط ١ ، ترجمة محمد السماك دار الشروق. القاهرة ٢٠٠٠.

ـ حنا جرجس الخضري(الدكتور القس) المصلح مارتن لوثر حياته وتعاليمه، دار الثقافة المسيحية. القاهرة ١٩٧٧.

ـ خالد محمد خالد : كتاب معاً على الطريق محمد والمسيح . كتاب اليوم. عدد ٣٢٩، ١٩٨٩ القاهرة.

ـ رجاء جارودي : الأساطير المؤسِسة للسياسة الإسرائيلية، دار الشروق. ط٤ ٢٠٠٢.

ـ سعيد اللاوندي (دكتور) : فوبيا الإسلام في الغرب،كتاب اليوم.القاهرة أبريل ٢٠٠٦.

ـ عباس العقاد : عبقرية المسيح ،كتاب اليوم العدد ٢٦٤. القاهرة يناير١٩٨٧.

ـ عباس العقاد : ما يقال عن الإسلام، دار العروبة .القاهرة.

ـ عطية صقر : المصطفون الأخيار ، دار مايو الوطنية . مصر١٩٩٧.

ـ فولتير الأعمال الكاملة ج١٦.

ــ فاروق شوشة :العلاج بالشعر وأوراق أخرى،دار المعارف.القاهرة١٩٧٧



ـ محمد الغزالي :هموم داعية. الطبعة الأولى ، دار الكتب الإسلامية .
ـ محمود حمدي زقزوق (دكتور) : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري،كتاب الأمة. ط٢ صفر ١٤٠٤هـ.
ـ لويس كاردياك (دكتور): الموريسكيون الأندلسيون و المسيحيون: المجابهة الجدلية.
ـ وليم بولك: الولايات المتحدة والعالم الغربي والقومية والغزو الفكري.



نبذة عن المؤلف

ــ السيد إبراهيم أحمد

ــ حاصل على بكالوريوس التجارة، ودبلوم الدراسات العليا في المحاسبة المالية، جامعة عين شمس بجمهورية مصر العربية، وكذا دبلوم الدراسات العليا بالمعهد العالي للدراسات الإسلامية بالقاهرة ، وحالياً بشعبة ماجستير الاقتصاد الإسلامي .

ــ صحفي بجريدة البيان العربي، وجريدة فرسان السويس، وجريدة حديث البلد.

ــ صدر له كتاب المعجزة المحمدية، وكتاب : (محمد صلى الله عليه وسلم .. كما لم تعرفوه) عن دار دوِّن للنشر بالاشتراك مع دار الكتب والتوثيق بالقاهرة،و موسوعة سياحة الوجدان في رحاب القرآن، وكتاب : "نساء في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ". وله مجموعة قصصية : (سلطان عرش الدخان) ، وديوان للأطفال: (نادر يبحث عن السعادة) وكذلك ديوان بالعامية المصرية .... وغيرهم. ــ عضو

بإتحاد الكتاب والمثقفين العرب.

ــ حصل على شهادة تقدير من إتحاد الكتاب والمثقفين العرب ، ولُقِبَ بـ "حَبر الإتحاد" .

ــ حصل على شهادة تكريم وتقدير من موقع "المختار الإسلامي".

ــ شارك في التحكيم في المسابقات الأدبية بالمملكة المغربية .

ــ صدر له ديوان على موقع أبيات الشعر والشعراء .

ــ فاز في بمسابقة قصص على الهواء بإذاعة BBC بالاشتراك مع مجلة العربي عن مايو ٢٠١٠،عن قصته: (القطار).

ــ له عدداَ من الدراسات النقدية والمقالات السياسية وغيرها.

ــ يقرض الشعر وقد تغنى بقصائده وأغنياته الدينية الكثير من المبتهلين بالقنوات الفضائية الإسلامية، مثل : قناة الناس ، فرقة إنشاد الناس ، البركة ، الأمة ، البدر، الصحة والجمال، الحافظ، القناة الرابعة، النيل الثقافية المصرية .. كما بثتها بعض الإذاعات، و كذلك قدمتها دار الأوبرا المصرية.

ــ أعد عددًا من البرامج الدينية لبعض القنوات، مثل: واحة المستغفرين، لقاء الإيمان ، مع أسماء الله فهمٌ وذكر ، وسهرات رمضانية، غير كليب عن مناسك الحج، وكليب في الدفاع عن رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، وشريط دينى للأطفال.

تنشر أعماله: مجلة الرباط الأدبي التي تصدرها رابطة الأدب الإسلامي العالمية، شبكة الألوكة ، دار ناشري للنشر الالكتروني،المستقبل، دنيا الرأي، مجلة

الجيل، الأهرام، الفجر نيوز، الواقع ، الدلتا ، مجلة الفكر الحر ، صحيفة الشرق القطرية، المختار الإسلامي، مقالاتي ، مكتوب، شبكة أعلام القدس ، ألوان عربية ، مجلة رؤى مصرية.

- للاتصال بالكاتب :
- elsayedebrahim1@hotmail.com
- elsayedebrahim22@gmail.com
- elsayedebrahim22@yahoo.com

- الموقع:

http://kenanaonline.com/elsayedebrahim

- المدونة:

http://elsayedebrahim22gmail.blogspot.com

- الفيس:

http://www.facebook.com/profile.php?id=100000789262267

- تويتر:https://twitter.com/_239498491495